

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

معهد ديني جديد بالمنصورة

تبرع آل الشناوى الكرام بالمنصورة ، بقطعة أرض كبيرة ليقام عليها معهد ديني جديد لمديرية الدقهلية والأقاليم المجاورة لها ، واكتب لتشييده معهم أعيان الدقهلية ووجهاؤها .

وفي يوم الاثنين الحادى والعشرين من شهر المحرم سنة ١٣٦٨ ، الموافق الثانى والعشرين من نوفمبر سنة ١٩٤٨ ، احتفل آل الشناوى ووجها المنصورة بتوقيع عقد الهبة ، ودعى إليه حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الأكبر الشيخ محمد مأمون الشناوى شيخ الجامع الأزهر ، وسعادة مدير الدقهلية ، وافتتح الاحتفال بترتيل آيات من القرآن العظيم ، ثم نهض فضيلة الاستاذ الأكبر فألقى كلمة قيمة ذكر فيها ترابط الإسلام والعلم ، وقيمة العلم فى الإسلام ، وشكر لأهل المنصورة أريحياتهم الدينية وتبرعهم السخى لإقامة المعهد الجديد ، ودعا لحضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول بالنصر والتأييد ، ونوه بتشجيعه القائمين بالمشروعات الجديدة وخاصة الدينية والثقافية منها ، فكان لهذه الكلمة البليغة الوجيزة أجمل وقع فى قلوب المستمعين . ونحن ننشر هذه الكلمة فى مجلة الأزهر حفظاً لها ، ونزولاً على رغبة القارئ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أبدع هذا العالم وأحكمه صنعا ، وأعطى كل شئ خلقه ثم هدى . سبحانه لا نحصى ثناء عليه ، عظمت آلاؤه ، وجلت نعمائه . والصلاة والسلام على الرسول الأعظم ، سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله وأصحابه الذين اعتصموا بحبل الله المين ، وصراطه المستقيم ، والتابعين لهم بإحسان الى يوم الدين . أهلى وعشيرتى :

السلام عليكم ورحمة الله .

وبعد ، فإن خير ما أتوجه به اليكم فى هذا الاجتماع المبارك ، الذى دعت اليه حماوتكم بالعلم ورغبتكم الصادقة فى نشره ، أن أهيب بكم جميعاً أن تستمسكوا بهذه العروة الوثقى ، التى جعلها الله رائد نبيه ، وأس دينه ؛ ألا وهى العلم .

وفضل العلم على الأمم والشعوب، فضل غير منكور؛ فهو أس الحضارة وال عمران، وأول مقومات المدنية، ومناط الحياة الاجتماعية؛ ما تمسكت به أمة إلا رقت، وما أقبل عليه فرد إلا عز وبلغ الأوج. وقد فضل الله العلم وأشاد بذكره، ورفع من قدر أهله؛ قال تعالى: «هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون». وقال عز شأنه: «يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات». وقال صلى الله عليه وسلم: «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم والله يعطي، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله». وقال صلى الله عليه وسلم: «من نفّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يتر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكروهم الله فيمن عنده، ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه». وعن ابن عباس رضى الله عنهما: «إذا مررتهم برياض الجنة فارتعوا، قيل: وما رياض الجنة؟ قال: مجالس العلم». ولا شك أن العلم حياة الإسلام، وعماد الدين.

اللهم اشرح صدور المؤمنين للعلم، وأعنيهم على نشره، وقوّ به دعائم هذه الأمة.

أهلى وعشيرتى:

حين تلقيت دعوتكم السكرينة لحضور هذا الاجتماع الرائع الذى أردتم به تحية العلم فى شخصى، وحرصتم على أن يكون ميدانا تستبقون فيه إلى الخير، وتتنافسون فيه على الجود للعلم، تنازعتنى عاطفتان: أولاهما عاطفة الفخار بأهلى لإقبالهم على التبرع لهذا المشروع الجليل: مشروع إنشاء معهد دينى إسلامى كبير يليق بهذا الإقليم الزاهر، وهذا البلد الأمين، ذى التاريخ المجيد. أما الثانية فعاطفة التقدير لهذا الإقليم الطيب الذى أنبت رجالا عاملين مصلحين، باذلين أموالهم وأنفسهم فى سبيل الخير، وإعلاء كلمة الدين.

«ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى، وإلى الله

عاقبة الأمور».

إخواني وأبنائي :

إن هذه الروح الطيبة المباركة ، وتلك الأريحية المشكورة ، ستبقى لكم في ثبات الأيام ، ذكرى عاطرة خالدة يتجدد بها ماضى هذه المدينة العظيمة التي كانت دائما مهبط العلم ومناوبة الخير .

وفي صفحات التاريخ القريب ، الذي قد لا يذكره أكثركم ، أن مساجد المنصورة منذ حوالى خمس وأربعين سنة ، كانت عامرة بحلقات الدروس ، تسير فيها على منهاج الأزهر المعمور ، وتتبع خطواته : ففي مسجد سيدى الموائى وسيدى ريحان ، كان الطلاب يجتمعون حلقات حلقات يتلقون العلم على علماء الدين بالمنصورة ، وكلهم من الصفوة علما وخلقا ، وكان على رأسهم فى مسجد سيدى الموائى المرحوم المبرور الشيخ الحيارى ، وفى مسجد سيدى ريحان ، المغفور له الشيخ السمنودى .

وكانت هذه الدروس تعبد الطلاب للالتحاق بالجامع الأزهر ، إذا ما انضجوا وافتتحت أذهانهم ، ومن هذه الحلقات التي كانت تؤدحهم بها مساجد المنصورة تخرج كثير من العلماء وأهل الرأي فى مصر .

ولم تكن دراسة العلم مقصورة على هذين المسجدين ، بل كان هناك أيضا فى مسجد سيدى يس معهد صغير أنشأه المرحوم على بك القرىمى لصغار الطلاب ، وما يزال موجودا حتى اليوم ، وقد جعل له فى وقفه أرزاقا للمدرسين والطلاب تساعدهم على طلب العلم ، ثم جاء المغفور له محمد الشناوى باشا ، فأنشأ مسجده ومعده ، وجعل لهما فى وقفه أرزاقا للمدرسين والطلاب تعيينهم على أداء مهمتهم . واليوم تبرع خلفاؤه الأجلاء المحترمون بأرض مساحتها سبعة آلاف متر لبنى عليها معهد ديني إسلامي كبير يتسع لطلاب مديرية الدقهلية ومراكز سينود وطلخا وشربين وبلقاس وبيلا . أسأل الله لهم ولمن يسهمون فى بناء هذا المعهد حسن الثواب .

ولا يفوتنى أن أنوه بما بذله ويذله سعادة الاستاذ حسين بك رأفت مدير الدقهلية من مجهود فى هذا السبيل . ولا غرو ، فقد تعود فى كل جهة يتولى أمرها أن يجعل نصب عينيه السعى فى إنشاء معهد ديني إسلامي فيها ، وهذه سنة حميدة وتوفيق من الله عظيم . نسأله سبحانه أن يثيبه ، ويجزيه خير الجزاء .

تلك صفحة التاريخ القريب مشرقة بنور العلم ، وهذه صفحتكم تريدون بها
وصل ما خطه آباؤكم ، ووضع لبنته أسلافكم .

وفقكم الله إلى ما أنتم بسبيله ، وأعانكم على نشر العلم وتوسيع مداه ، وشرح
صدوركم للجود والسخاء في هذا المضمار ، لتستحقوا رضا الله ورضوانه . ألا إن
السخاء من الإيمان ، والإيمان في الجنة .

إخواني وأبنائي :

إننا اليوم في عالم وظروف تستدعي من كل فرد أن يبذل ما في وسعه لنصرة
العلم والدين ، حتى تكمل للبلاد قوتها وعزتها : وإن الدول اليوم لتتسابق في حلبة
العلم ، فما أحرانا وديننا دين العلم والنظر في ملكوت السموات والأرض أن نلبي
داعى الإيمان موفقين بتوفيق الله .

أهلى وعشيرتى :

إن كل السبل أمامكم ميسرة لتعملوا على نشر العلم ؛ فالأزهر المعمور على أنتم
الاستعداد لمدمكم بالعلماء المدرسين والكتب النافعة ، إذا ما خطوتم الخطوة
الآخيرة في سبيل إتمام ما بدأتم ، فأقيم بناء المعهد واكتمل أناته . ولتعلوا وليعلم
سائر أبناء الوطن أنى لا أخص المنصورة وحدها بهذا الوعد ، بل عند الأزهر
الشريف بفضل الله مزيد من العون لكل جماعة في أى إقليم من أقاليم وطننا
العزیز ، تعقد العزم على رفع منار العلم ، فتقيم له مكانا مؤثنا يتسع لطلبته ويليق
بمكانة العلم .

ولست في هذا إلا مترسما توجيه وعناية مولانا حضرة صاحب الجلالة الملك
المعظم ، فاروق الأول ، الذى يحرص على العلم وتشجيع العاملين . أعزه الله وحفظه
وشرح صدره ، ويسر أمره ، وأعلى ذكره ، وآتاه سؤله ، وأبقاه ذخرا للإسلام
والمسلمين ، والعلم والدين . آمين .

ونبتل الى الله بقلوبنا وبصدق نياتنا أن ينصر عباده المجاهدين ، ويظهرهم على
أعدائه الطاغين الباغين ، ويمدهم بمعونته ، ويؤيدهم بجنده ، ويثبت أقدامهم ، ويحقق
آمالنا وآمالهم ، ويمنحهم نصره الذى وعد به من يجاهد فى سبيله ، فهو خير الناصرين .

والسلام عليكم ورحمة الله

المسلمون في هذا المعترك العالمي

صورنا في الجزء السابق من هذه المجلة حالة العالم الغربي في معترك الحياة في هذا العصر ، وبيننا طبيعة العوامل التي تورطهم فيها ، ونظراً لأننا مرتبطون بهم اقتصادياً وعلمياً ، فإنه يهمنا من أمرهم ما يهم المترابطين : فأما من الناحية الاقتصادية فإن تأثيرها ينحصر في قلة الواردات وغلاء البضائع الأجنبية ، وتذبذب أثمان محاصيلنا ، وليس كل هذا بالأمر السهل ، ولكنه مما يسهل احتماله ، ويؤمل زواله . أما ما يجب أن يكثر له أشد اكتراث ، وتراقب آثاره مراقبة دقيقة ، فهو التطور العلمي الذي تحدثه الأعصاب المنهيجة هناك من وضع المبادئ المتطرفة ، وبناء الأصول الشاذة ، وسريانها إلينا من طريق ما نقرأه من جرائدهم ومجلاتهم ، وما يترجم في جرائدنا من أفعالهم وأقوالهم ، فتأثر بها النابتة الإسلامية وتشب متشعبة بها أيما تشبع ، ظناً أنها مقررات علمية ، وتجديدات اجتماعية ، فتعمل على أن تجرى على سنتها لتلحق بالقافلة الانسانية في سعيها الحثيث نحو المثل العليا .

والذي على مراقبي الحالات الاجتماعية ، والتقلبات التصورية في العالم من المسلمين أن يبينوا لأقوامهم أن هذه الحالات والتطورات الدافعة إلى الانقسامات والمصادمات بين طوائف العالم الغربي ، ليست ثمرات العلم ولا الحكمة التي يجب أن يحرص على الأخذ بها الناس والجماعات ، وإنما هي ثمرات مذاهب إلحادية تآدوا تحت تأثيرها إلى فوضى نفسية وخلقية ، نزعنا السلام والطمأنينة من النفوس ، ودفعنا إلى فوضى وانحلال يضران بالنظام العام الذي يجب أن يسود الجماعات ، ليتفرغ كل عامل إلى عمله ، ويحقق أقصى ما يمكن من الخير لنفسه ووطنه ، من حيث يجب أن يلتزم من قبله .

نعم إن هذه الانقلابات التي نشاهد عليها الحياة في أوروبا ليست بثمرة العلم، وكفى أن تكون كذلك لتؤدي إلى شر ما ينتظر منها، وليس شيء أكبر من الحروب الطاحنة التي تشنها هذه الأمم على نفسها، وتجريها خلافات يتكفل المنطق البدائي بحلها، لا القنابل الهادمة والحارقة، ولا الوسائل المحطمة والخائفة. وبلى هذا الشر المستطير فيها ما عليه أكثر أممها من الانقسامات والتحزبات والإضرابات عن الأعمال، والاضطرابات الداخلية. والذي هو شديد الوقع على النفوس أن هذه الأحوال المرتبكة لا توجد لها حلول تلج الصدور عليها، وترتاح النفوس كافة إليها، فلا الاشتراكية المتطرفة والمعتدلة، ولا أحزاب اليمين واليسار مما يفيد في الحد من هذه الشرور شيئاً.

وما دامت هذه القلاقل ليست بثمرة للعلم فهي إذن ثمرة الخلال الحيوانية التي شرعت الأديان لانتزاعها من الشخصية الانسانية، فيكون الدين والعلم حرباً على هذه الخلال، ومتى اجتمعا في أمر فلا يعقل أن تقف دونه عقبة، إلا أن هذا الانتقال الخلقى لا بد له من زمان يتطور فيه.

فلو كانت أوروبا تعنى بالأصول الخلقية التي تدرسها في جامعاتها، وتقف عند حدودها أياً كان مرمها، لدفعت عن الفلسفة المادية التي تقدسها شبهة قوية، ولكنها لا تستطيع أن تقف عند حدودها، حتى في هذا العصر الذي بلغ العلم فيه أشده، فأقامت بذلك أروع الحجج على أن الانسانية في حاجة ماسة إلى الدين، ولا نستطيع أن نستبدل به الفلسفة؛ لأن الأمر يتعلق بتربية شعور نفساني، وتنمية حس وجداني، يكون من القوة بحيث يتغلب على الطبيعة الحيوانية في الجبل الانسانية. وقد عجز العلم عن أداء هذه المهمة إلى هذا العهد، رغمًا عن وصوله إلى مدى بعيد من الألمعية، بل يشاهد أنه كلما ازداد سرياً في سرائر الطبيعة، واكتشف أسراراً جديدة، زاد قسوة وغشمرة، وامتلاً صلفاً وجبرية، حتى قرر الذين بيدهم استخدام هذه المخترعات المهلكة للبشرية أن حرباً أو حربين أخريين تأتيان على العمران العالمي، وتجعله كأن لم يكن بالأمس.

كان هذا الاعتبار من العوامل النفسية التي دفعتنا إلى دراسة المسألة الدينية من الناحية الاعتقادية، واستكثارنا على صحة الدين من الأدلة العلمية، وسيكون هذا دأب الذين يغارون على كرامة الانسانية من الأجيال المقبلة.

وفي نظرنا أنه يجب على المشتغلين بالدين أن يجعلوا هذا الاعتبار من أهم ما يدفعهم إلى المثابرة والدؤوب على ما هم عليه من الاشتغال به ، وخاصة من ناحيته العقيدية ، واثقين أن أدله العلمية أصبحت مواتية لهم لبناء صرحه الفخم على أصول تولد اليقين في أعنى النفوس البشرية ، وتوجب القبول لدى أعصى العقول القوية .

لقد مضى الزمان الذى كان ينظر فيه إلى المشتغلين بالدين من هذه الناحية بأنهم يجهدون أنفسهم لبأوغ غاية وهمية ، وبأنهم ينفون أيامهم لإيجاد حركة رجعية ، بعد أن سادت الفلسفة المادية على العقول سيادة مطلقة . وهم في الواقع بهذا الاعتبار يحافظون على الانسانية من التلاشى بإيتاء النفوس بمكملاتها الادبية ، ويدفعون شررة الذين يعملون على حرمانها من عواملها الروحية .

وما يؤيد هؤلاء العاملين أنهم في جهادهم هذا لا يدفعون كلاما بكلام ، وإنما هم يدحضون نظريات إلحادية بأدلة علمية ، مرتكزة على البحوث النفسية التى ملأ نورها الخافقين ، ولم يعد أمرها خافيا على أحد . ولست أقصد بذلك ما يشتغل به الآلوف من أهل العلم اليوم لإثبات عالم الأرواح والاتصال بهم ، ومخاطبتهم ، ولكنى أقصد ما قررته العلوم التجريبية نفسها من وجود العقل الباطن فى الإنسان ، ومن تدهور أكبر النظريات الفلسفية التى بنوها على تعلق العقل بالمخ ، والحياة بالدم ، والذاكرة بالصور الذهنية : وما أسسوه من الآراء على أصل الكون ، والجوهر الفرد ، ونشوء الأحياء وتطورها الخ مما أصبح لدى الذين تابعوا التطور العلمى أشبه بأقاصيص العجائز .

لم يتوصل من وصل من العلماء إلى درجة اليقين فى الدين من دراسة خاصة فيه ، أو مما كتبه بعض مثليه ، ولكن من أدلة ذاتية لهم منتزعة من الفروع العلمية التى كانت من نصيبهم . فضرب لك مثلا يعطيك فكرة على ما تقصده مما نقول . قيل يوما للفلكى الأشهر (نيوتن) الانجليزى : هل تستطيع أن تقيم دليلا حسيما على وجود الله ؟ فقال : نعم : ، من المحقق أن الحركات الحالية للكواكب لا يمكن أن تنشأ من مجرد فعل الجاذبية العامة ، لأن هذه القوة تدفع الكواكب نحو الشمس ، فيجب لأجل أن تدور هذه الكواكب حول الشمس ، أن توجد يد إلهية تدفعها على الخط المماس لمداراتها . هذا صحيح لأننا نعلم أن الكواكب

كلها معلقة في الفراغ وهي لا تتقارب حتى تكون كتلة واحدة ، لأنها تتجاذب من جميع جهاتها . فإذا انجذب كوكب الى آخر منه من ملاسته جذب كواكب أخرى له من كل النواحي . هذا معقول ، ولكن هذه الكواكب مع انجذاب بعضها لبعض تتحرك في مدارات مقدرة لا تتعدها . فما الذي يعطيها هذه الحركة الدائرية المنتظمة حول بعضها إن لم تكن يد الله تفعل ذلك ؟

أما وقد ثبت كل هذا وأصبح حقيقة محسوسة لكل ذي بصيرة ، فعلى المسلمين أن يعتصموا بحكمة كتابهم ، وسنة رسولهم ، وسيرة سلفهم ، ويعملوا على توحيد كلمتهم ، والجرى على تقاليدهم ، ليكونوا بمنجاة من العلل الاجتماعية ، والأدواء الخلقية ، والفتن السياسية ، لا سيما وهم يرون بأعينهم أن أعرق الأمم في المدنية ، وأرقاها في الثقافة العلمية ، تعجز من تفرق السكامة في مجتمعاتها وتنازع الأحزاب في بلادها ، عن تأليف حكومة لتصريف الشؤون الداخلية والخارجية .

وإذا نصحننا بالاعتصام بحكمة كتابنا ، وسنة رسولنا ، وسيرة أوالنا ، فإننا إنما ندعو للأخذ بأرقى النظم الاجتماعية . ألم تلك نتيجة ما قاموا عليه من تلك النظم أن أصبحوا كالجسم الواحد من الترابط والتماسك ، آتاهم الظفر على أعدائهم والسعة في ممتلكاتهم ، والنظام في حكوماتهم ، والنفوق في معلوماتهم ، حتى استحقوا أن يكونوا خلفاء الأرض بعد الفارسيين والرومانيين ، ومن سبقهم من الصليبيين والهنديين والبابليين واليونانيين الخ ؟ .

العقبة الكأداء أمام المسلمين في هذه الناحية هي أنهم يأخذون فيما يأخذونه من النظم الأوروبية وجوب فصل الديانة عن الحكومة ، وهي عقبة كأداء شديدة تتعلق بالعقلية العصرية لا يطبق أحد أن يعيرها سمعا . ونحن لا نودعها نكتبه في هذا الصدد أن يكون الأمر على ما يتخيله المعترضون ، فيعتبروا مانكتبه ترشحا من عقلية رجعية ، فلا بد هنا من بيان وجيز لهذا الأمر سنأتى عليه في العدد المقبل .

محمد فربر وعبدى

الإخلاص

لفضيلة الاستاذ الشيخ عبد الرحيم العدوى
شيخ معهد فؤاد الأول بأسسوط

الإخلاص : هو العروة الوثقى المأمورُ بها على ألسنة الأنبياء والمرسلين .
وهو الوسيلة لصحة الإيمان والأعمال جميعا ، بل هو السر العظيم الذى استودعه
الله قلوب أوليائه المقربين ، أولئك الذين تغلبوا على نفوسهم الأماره ، وملكوا
زمام شهواتهم الجاححة ، فلم يكن لهما عليهم من سلطان .

والإخلاص : تصفية الأفعال والنوايا من الشوائب والمكدرات : يقول الله
تعالى « وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين » . ويقول « ألا لله الدين
الخالص » أى الذى خلا من الشوائب وتنزه عن النقائص .

وسميت سورة « قل هو الله أحد » بسورة الإخلاص ، لأنها خالصة فى ذكر
صفات الله وحده فلم تنعرض لذكر نجدة ولا نار ، ولا أمر ولا نهى ، ولا وعد
ولا وعيد . فكانت بحق سورة الوحيد .

أما المخلصون فيقول الله فى وصفهم « إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا
بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين ، وسوف يؤت الله المؤمنين أجراً
عظيماً » . فالتوبة أول مقام من مقامات التقرب الى الله ، والإخلاص آخر تلك
المقامات . ويقول الرسول الكريم ، « ثلاث لا يغفل عليهن قلب : رجل أخلص
العمل لله ، والنصيحة لولاة الأمور ، ولزوم جماعة المسلمين ، فإن دعوتهم تحيط
من ورائهم » .

وقد ثبت بالآثار أن الإخلاص وسيلة لإجابة الدعاء ونيل الرغائب ؛ فقد قال
الرسول الكريم لحاله سعد بن أبى وقاص ، حينما أظهر دالة ، واعتقد أن له فضلا
على من دونه من صحابة رسول الله « إنما نصر الله هذه الأمة بضعفائها ودعوتهم
وإخلاصهم وصلاتهم » . ولسمو مكانة الإخلاص وعزة شأنه يحدثنا الرسول عنه

فيقول : يقول الله تعالى ، الإخلاص سر من سرى استودعته قلب من أحبه من عبادى ، . ويقول على رضى الله عنه : لا تهتموا لقلة العمل ، واهتموا للقبول ، فإن النبي قال لمعاذ بن جبل « أخلص العمل يحزك منه القليل » .

ولأن الإخلاص خلق عسير على النفوس البشرية ، لأن للشياطين مداخل كثيرة يصلون منها إلى إفساد الضمائر ، وزجها في مهاوى الرياء والنفاق ، كتب عمر الى أبى موسى الأشعري يقول : « من خلصت نيته كفاه الله ما بينه وبين الناس » . وقال بعض الصالحين « طوبى لمن صحت له خطوة واحدة لا يريد بها إلا وجه الله » .

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم « أول من يسأل يوم القيامة ثلاثة : رجل آتاه الله العلم ، فيقول الله له : ما صنعت فيما علمت ؟ فيقول : يارب كنت أقوم به آتاء الليل وأطراف النهار ، فيقول الله : كذبت ، وتقول الملائكة : كذبت ، بل أردت أن يقال فلان عالم ، ألا فقد قيل ذلك ؛ ورجل آتاه الله مالا ، فيقول الله له : لقد أنعمت عليك فماذا صنعت ؟ فيقول : يارب كنت أتصدق به آتاء الليل وأطراف النهار ، فيقول الله : كذبت ، وتقول الملائكة : كذبت ، بل أردت أنه يقال فلان جواد ، ألا فقد قيل ذلك ؛ والثالث رجل جاهد في سبيل الله فقتل ، فيقول الله له : لقد جاهدت لي قال فلان شجاع ، ألا فقد قيل ذلك ، ثم قال الرسول لأبى هريرة : يا أبا هريرة أولئك أول خلق تسعر بهم جهنم يوم القيامة ! ولما سمع معاوية هذا الحديث بكى بكاء شديدا ، وقال : صدق الله تعالى إذ يقول « من كان يريد الحياة وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون » .

وإذا علمنا أن الإخلاص يتصل بالنوايا والقلوب ، وأنها كثيرا ما تخالطها الشوائب وتفسدها المكدرات ، فقد يشتبه التكلف بالإخلاص ، وتأديب النفس بالعلم بالزين به للناس ، وقد يلتبس الاختيار بالاختبار ، وقد يضيع المرء بفعل يوديه فرضا يفقده فريديه . كما تشير إليه الآية الكريمة « يا أيها الذين آمنوا استجيروا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحبيكم ، واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون » .

إذا علمنا هذا فلا غرابة إذا رأينا كثيرا من الناس لا يفهمون معنى الإخلاص على حقيقته ، فيرون أن من شاب عمله بعض البواعث الاخرى

من حظوظ النفس وتمعها يسمى مخلصا حقا، وليس كما يفهمون : فثلا : ذلك الذى يصوم بقصد التقرب الى الله ، وبقصد إصلاح المعدة بالحية : أو يحج بقصد العبادة وليصيح جسمه ، أو ليهرب من عدوه ؛ أو يطلب العلم لله وللحصول على العيش بواسطته : أو يجاهد لله وليرى على أعمال الحرب : كل أولئك لم يصلوا الى كمال الإخلاص . ولذا قيل : من سلم له من عمره لحظة واحدة خالصة لله فقد نجا . وما ذاك إلا لعزة الإخلاص وعسر تنمية القلب عن الشوائب والشواغل ، فلا يصل إلى كمال الإخلاص إلا من وفقه الله .

أما الذين يغفلون عن هذه الدقائق ويظنون أنهم قد أعدوا للآخرة ما ينجم من أهوالها ، ناسين مالا بد منه فى الأعمال من إخلاص النية وسلامة الطوية ، فأولئك يرون فى الآخرة بعض حسناتهم سيئات ، وهم المرادون بقول الله عز وجل « وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون » .

ولكن من لطف الله ولسماحة الشريعة الإسلامية، لم يحرموا الثواب ، وإن لم يصلوا الى منزلة المخلصين الكاملين : لأن الله يقول « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره » ويقول « إن الله لا يظلم مثقال ذرة ، وإن تك حسنة يضاعفها » فلا يمكن أن يحرم هؤلاء ثواب قصد الخير مهما قل أو ضعف .

وأما الآيات والآثار التى تدل بظاهرها على حرمان هؤلاء من الثواب ، وأن شوب العمل بغيره محبط للعمل ، فيجب تأويلها على وجه يتفق مع قواعد العدل التى رسمها القرآن ، ودعمت أسسها السنة الكريمة .

فمثل قوله تعالى : « فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا » . وما ورد فى الحديث القدسى « يقول الله : أنا أغنى الشركاء عن الشركة » . فمثل هذه الآثار لا تناقض ما قلناه ، لأن المراد بها من لم يقصد إلا حظوظ الدنيا ، أو كان الغالب على نواياه ذلك ، فإن غير هذا لا يتفق مع سماحة الدين ودفع الحرج عنهم .

على أن تلك الشواغل التابعة لا ينفك عنها الانسان ، فينبغى قصر تأثيرها على

نقصان الثواب ، وهذا لا يمنع أن ننصح لمن يتلى بمثل هذه الشواغل أن يكون على حذر ، ليصل الى درجة المخلصين السكامين .

وبعد ، فينبغي لمن وقف على مكانة الإخلاص ، وعرف سمو منزلته ، أن يسعى في تحصيل مقوماته ، ويجتهد في الحصول على أسبابه : من العقيدة القوية ، والاستقامة التامة ، التي هي جماع كل خير ، ومصدر كل سعادة ، وملق جميع الفضائل ، فيكون صادقا في القول ، فلا يخبر بغير الواقع ، وإذا أراد كمال الصدق فليترك المعارض .

فمن اضطر الى المعارض فطريق صدقه أن يكون نطقه لله ، وأن تكون معارضة وفق ما يأمر به الدين ، كما قال أبو بكر رضى الله عنه حينما سئل عن النبي في بعض أحياء العرب وقت أن كان النبي يعرض نفسه على القبائل لينشر دعوته ويكثر أنصارها ، قال أبو بكر عن النبي « إنه رجل يهدينى السبيل » ففهم السائل أنه دليل يعرف مسالك الطرق ، ويعلم نجودها وسهولها ، وما أراد أبو بكر إلا أنه يرشدني الى طريق الخير ، ويهدينى الى سبيل الرشاد .

وبالجملة يصدق في كل المواطن : في الخوف والرجاء والصبر ، وسائر نواحي السلوك . ومن وسائل الإخلاص أيضا حسن الخلق ، وبقظة الضمير ، ومراقبة النفس ومحاسبتها على أعمالها ، فيشعرها المرم بما أعد الله في دار الجزاء من حساب وعقاب ، ويذكرها بقوله تعالى « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين » لتوقن النفس بمراقبة الله لها في حركاتها وسكناتها ، وأن الله للناس بالمرصاد ، بعلمه المحيط ، وملائكته الكرام الكاتبين ، يناقشهم الحساب ويطلبهم بمئقال الذرة من النوايا والطويات . فمن حاسب نفسه قبل أن يحاسب ، خف في القيامة حسابه ، وحضر عند السؤال جوابه ، وحسن منقبه ومآبه . ومن قصر في المحاسبة وترك الحبل على الغارب للنفس الأمارة ، دامت حسراته ، وطالت في القيامة وقفاته .

فليحافظ على سلامته من الدغل ، ويحفظ جوارحه من التمرد والسكسل ، حتى لا يأتي يوم الضراعة ، قليل البضاعة . فلتكن جوارحه خدما مطيعة مسخرة في طاعة الله والبر بعباد الله ، وما دام يراقب ربه ويحشاه ، ولا يعول في الوجود على سواه ،

لا يخشى في الحق لومة لائم، ولا يأبه لكلام الناس، ما دام على هذا السن فهو بخير، وفي طريق السداد يسير: فالله وحده هو العليم بخفايا الحنايا، والخير بهو اجس النفوس.

إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل: خلوت ولكن قل على رقيب
قال عبد الله بن دينار: خرجت مع عمر بن الخطاب نريد مكة فمرنا ليلا في بعض الطريق طلبا للراحة، فالتحق عليه راع من الجبل، فقال عمر: أيها الراعي بعني شاة. فقال الراعي: إنها لسیدی وأنا بملوك. فقال عمر: فقل لسيدك أكلها الذئب. فقال الراعي: وأين الله؟! فبكى عمر، وفي الغد ذهب فاشترى الراعي من سيده وأعتقه، وقال له: لقد أعتقتك هذه الكلمة في الدنيا، وأرجو أن تعتقك في الآخرة.

هكذا كان حال المسلمين في العصور الأولى، عصور الخير والنور: يفهمون معنى الإخلاص، ويعملون للإخلاص؛ ولذلك غيروا مجرى التاريخ، وحولوا سيرة الوجود. ومن يوم أن ترك الناس فضيلة الإخلاص، وعاشوا في ظل الرياء والنفاق، واستمرروا سياسة الملق، ضعف فيهم حب التضحية، وفقدوا الصراحة في القول والعمل، وسدت أمامهم أبواب العزة والمجد، وحسروا نيل الرغائب والأمانى، وخاصة الأمانى الروحية، والرغائب المعنوية: من راحة البال، واطمئنان الضمير، وسكون النفوس.

وبعد، فإن الإخلاص دستور عام لكل الناس، لو ساروا على نهجه وترسموا خطاه، لصلح حال الأمة، وساد بنوها، وعاشوا عيشة الهناء والرغد، لا تزعمهم الشدائد، ولا تقض مضاجعهم الأزمات والنوائب.

فالجندي لو أخلص النية وعلم أنه إذا حرص على الموت توهب له الحياة، كما قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه، أو تذكر سورة الأحزاب، وعلم ما كان عليه المسلمون الأول من الصبر والثبات في مواقف الشدة والخرج، حتى أشاد القرآن بذكرهم ونطقت به الآيات حيث يقول «من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه. فمنهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر. وما بدلوا تبديلا» أقول: لو علم الجندي كل ذلك لدافع عن الحرمات فتجنى الأمة من حسن بلائه أطيب الثمرات.

والتاجر القنوع لو أخلص لبيلاده، ورحم بني وطنه في وقت شدتهم، لرضى

بالرج القليل ، ولم يعمد الى احتكار الأقوات وإخفاء الأرزاق ، فيلاقي الناس ما يلاقون من ضيق وعنت .

والعامل والصانع لو أخلصا ، لكثرت الإنتاج ، وعم الخير والإسعاد .

ولو أخلص الرؤساء لسارت البلاد في طريق الإصلاح ، وسعد بنوها بالفلاح والنجاح ؛ ولو أخلصت بطانتهم لكان للمجتد ما يستحق من تقدير ، فكم كفايات حرمت حقوقها بسبب البطانات ، وكم عطلت مشاريع لأنها لا توافق مزاج هؤلاء المتزلفين . والتاريخ مملوء بجنائيات هؤلاء الوسطاء إذا صاحبهم غفلة الراعى ، ولم تكبح جماحهم بقظة الرئيس .

دخل أحد العلماء على سليمان بن عبد الملك فقال له سليمان : ما حال القديوم على الله ؟ فقال العالم : أما المحسن فيلقى جزاء إحسانه ، وأما المسيء فيود لو تسوى به الأرض . فقال سليمان : إذا كان الأمر على ما وصفت فما بالناس نكروه الموت ونحب البقاء في هذه الحياة ؟ فقال العالم : اعفى يا أمير المؤمنين من الجواب . فقال سليمان : لا ، قل وأنت آمن ، فقال : لأنكم عمرتم دنياكم وخربتم آخرتكم ، فتكبرون أن تنقلوا من العمار الى الخراب . فقال بعض من بالمجلس من بطانة سليمان : يا هذا لقد نفست على أمير المؤمنين مجلسه . فقال سليمان : دعه فإنه رأى في غفلة فأراد أن ينهها . . . فن لنا بحكمة سليمان بن عبد الملك ليرد عنا كيد المنافقين ويحول عنا ملق المرائين . ولو أخلصت المرأة الى رب الأسرة لامتلا جو البيت سعادة وأنسا ، ولعاشت الأسرة عيشة الرخاء والامن .

ولو أخلص الأغنياء في هذه الأيام العصيبة لما رأيناهم على ما هم عليه من الشح ، وعن كشب منهم إخوانهم في الوطن يرزحون تحت آلام الفقر والمرض . فكم من صدر ملأها المأسى ، وكم من أحشاء عز عليها الآسى ، فضاقت الدنيا بهم على رحبها ، ولمسوا بؤس الحياة وبين ظهرانهم أثرياء لا يسعفون منهم ملهوا ، ولا يبلون غصة بانس محروم .

اللهم أنت وحدك مقلب القلوب : أذقهم حلاوة العطف والرحمة ، وهي لهم من أمرهم رشداً ؟

تحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة

لفضيلة الأستاذ الشيخ الطيب حسن النجار
المدرس في كلية أصول الدين

بعد أن أمر الله تعالى باستقبال البيت الحرام حال الصلاة بقوله : « فولّ وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره » ، كما وضحنا ذلك في المقال السابق ، بيّن أن فريق اليهود والنصارى يعلمون أن أمر التحويل إلى الكعبة هو الحق لا غير ، لمشاهدتهم ما هو مسطور في كتبهم من أنه عليه الصلاة والسلام يصلي إلى القبلتين ، وليس ذلك ابتداء من تلقاء نفس محمد : « وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم » ، الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، وما كان منهم لم يكن قائماً على أصل ينبغي لمعاقل أن يرتكز عليه ، وإنما هو العناد والمكابرة وعمى البصيرة : « وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون » قال السدي : « وأنزل فيهم » ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب ، الآية ، وقوله تعالى « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم » الآيتين ، قال : أي يعرفون أن قبلة النبي الذي يبعث من ولد اسماعيل قبل الكعبة ، كذلك هو مكتوب عندهم في التوراة ، وهم يعرفونه بذلك كما يعرفون أبناءهم ، وهم يكتمون ذلك وهم يعلمون أنه الحق » انتهى .

ثم قرر الله سبحانه وتعالى الأمر بالتولية إلى الكعبة حيث قال « ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وإنه للحق من ربك » ، وما الله بغافل عما تعملون ، مرتباً عليه أنه تعالى يشهد أن ذلك حق ، وشهادة الله تتضام أمامها كل شهادة ، وأنه مجاز كُلاً على عمله .

ثم كرر الأمر بالتولية ثلاثة بقوله « ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة » ،

لتنقطع بذلك حجّتهم، ويذهب ما تعلقوا به من شبهة تقحموها وخاضوا غمارها . فأنت ترى حسن هذا التكرار وجماله ، وما أفاده كل أمر بما علق عليه . ونظير هذا في القرآن كثير : من ذلك قول الله تعالى « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ، فويل لهم عما كتبت أيديهم ، وويل لهم بما يكسبون » وقول الله تعالى « فبأى آلاء ربكما تكذبان » . وكأن الله تعالى يقول .

أولا : الزم هذه القبلة فإنها القبلة التي كنت ترضانا وترغب فيها

وثانيا : الزم هذه القبلة لأنها قبلة الحق لا قبلة الهوى

وثالثا : الزم هذه القبلة فإن لزومك إياها يقتضي حجة اليهود . ويذهب بها أدراج الرياح .

وأنت خير بأن ذلك يفيد تأكيد أمر القبلة بفضل تأكيد ، فضلا عما تفيد الآية الأولى من الأمر بالدوام عليها في جميع الأمكنة . والثانية من الدوام عليها في جميع الأزمنة والأمكنة : والثالثة في جميع الأزمنة مع الإشعار بأن هذا لا يصير منسوخا بعد .

ولقد كان في ذلك قطع حجة المناوئين لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب ، واستئصال لشأفتها ، واحتجاج اليهود بأن المنعوت في التوراة من أوصافه أنه يحول إلى الكعبة ، واحتجاج النصارى بأنه يدعى ملة إبراهيم ويخالف قبلته . ولكنهم مع ذلك أصرّوا على ما هم عليه ، واستكبروا عن الرجوع إلى الحق بعد ما ظهرت لهم مخايله ، استكبارا وعنادا ، كما حكى الله ذلك عنهم بقوله « ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك ، وما أنت بتابع قبلتهم ، وما بعضهم بتابع قبلة بعض » .

وأما الذين ظلّوا من أهل مكة الذين يتولّون : رجع محمد إلى قبلة آبائه ويوشك أن يرجع إلى دينهم ، فهم قوم معاندون لا حاجة لهم فيما يأنفكون ، قتل الخيّر أسون الذين هم في غمرة ساهون ، . وبقدر ما كان لهذا الأمر بتلك الطوائف من صاعقة الخزي وتناثر آمالهم بين طيات العواصف ، بقدر ما كان لرسول الله صلى الله عليه وآله من الابتهاج وتفريق ظلال النعماء . تلقى الرسول صلى الله عليه وآله

أمر التوجه إلى الكعبة بخير ما يتأق به الرجل فلذة كبده بعد طول الغيبة وُبعد الشقة ، فأفاض عليه ما يلا العين مهابة وجلالاً ، والقلب بهجة وحبورا : وأنزل بجماعة الكافر دزة عيفة قضت عليهم مضاجعهم ، وردعت نفوسهم ، فأرغوا وأزبدوا ، وصالوا وجالوا ، وأفاضوا في مكر الحديث .

فقال المسلمون : سمعنا وأطعنا وآمنا به ، كل من عند ربنا . وهؤلاء هم الذين هدى الله ولم يكن كبيرة عليهم . وقال المنافقون : ما بالهم كانوا على قبلة ثم تركوها . وقال المشركون : تحير محمد في دينه ويوشك أن يرجع إلى ديننا كما رجع إلى قبلتنا ، وما رجع إليها إلا أنه الحق . وقالت اليهود : خالف محمد قبلة الأنبياء قبله ولو كان نبيا لكان يصلى إلى قبلة الأنبياء . وقال قوم : مرة ها هنا ، ومرة ها هنا ، لو كان محمد على يقين من أمره لما تغير رأيه وإنهم ليقولون منكراً من القول وزيورا » ويحتملون بهتاناً وثأماً ميذاً .

فهلهم الله سبحانه وتعالى بسفه من أحلامهم بقوله « سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ؟ قل لله المشرق والمغرب ، يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم » .

قال خفاف العقول الذين يعدلون عمما ينفعهم ويرفع منزلتهم ، إلى ما يضرهم ويهوى بهم إلى مكان صحيح : أى شيء صرف محمداً ومن معه عن قبلتهم التي كانوا يستقبلونها في صلاتهم وهي بيت المقدس ؟ قل لهم يا محمد : لا مكنة كلها لله ملكا وتصرفا ، فيأمر بالتوجه إلى الجهة التي اقتضتها مشيئته ، وما على المخلوق إلا أن يطيع خالقه ، دون ما أوحاه إليه ضميره ، وما سولته له نفسه وهواه .

فاليهود أطاعوا هوى أنفسهم واتخذوا جهة المغرب قبلة لهم ، زاعمين أن موسى كان في جانب المغرب فأكرمهم الله بوحيه وكلامه ، كما قال الله تعالى « وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر » .

والنصارى اتخذوا جهة الشرق قبلة لهم اتباعاً لهواهم ، زاعمين أن مريم مالت إلى جانب الشرق ، كما حكى الله ذلك بقوله « واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا » .

والمؤمنون اتخذوا الكعبة قبلة لهم امثالاً لأمر ربهم ، لا ترجيحاً لبعض

الجهات على البعض . يهdy الله من يشاء هدايته الى السبيل الحق ، فيوجههم الى بيت المقدس مدة حيث اقتضت حكمته ذلك ، ثم الى الكعبة حيث يعلم المصاحبة في ذلك . وكان من الخير لهم لو عندهم أثارة من عقل أن يستنيروا بهدى الله ، فيؤمنوا بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين ، ويتجنبوا الخوض في حديث القبله . ولكنها البصيرة قد عميت ، فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ، فزعمت كل طائفة أن البر هو التسوحيه الى قبلتها ، فرد الله عليهم بأنه ليس البر ما أنتم عليه لأنه منسوخ ، ولكن البر ما بينه الله واتبعه المؤمنون حيث قال : « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين » الآية . ولكنهم سدلوا دونه ثوبا ، وطووا عنه كشحا ، وأخذوا يصولون بيد جذاء ، ويرفعون عقيرتهم بما يطوح بهم في طخية عمياء ، مع أن ما أنزل الله تعالى أجدى عليهم وأنفع ، ومعين ماؤه لا ينضب : « وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا » .

ثم قال الله تعالى : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » .

بشتر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بأنه كى جعل أمة تلتهج الطريق الحق بهدايته فتوجه الى البيت المحرم ، جعلها أمة وسطا بين طرفي الغلو والتقصير ثم غلو النصارى حيث وصفوا المسيح بالالهية ، وإذا قال الله يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ؟ قال سبحانه ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق ، الآية ؛ ولم تقصر تقصير اليهود حيث وصفوا مريم وعيسى بما تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق له الأرض وتخسر له الجبال هدا ، قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا . يا أخت هرون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا . .

فهى أمة خيرة عادلة مزكاة بالعلم والعمل ، خصها الله بتلك الصفات النبوية لتشهد على الأمم بأن أنبياءهم قد بلغوا الرسالة إليهم طمحا لما علموه . ويكون الرسول شهيدا عليها ، فيزكيها ويشهد بعدالتها .

روى أن الأمم يوم القيامة يحجدون تبليغ الأنبياء عليهم السلام ، فيؤتى بأمة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون ، فتقول الأمم : من أين عرفتم ؟ فيقولون : علمنا ذلك بإخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق . فيؤتى عند ذلك بمحمد صلى الله عليه وسلم ويسأل عن حال أمته ، فيزكيهم ويشهد بعد التهم . . .

ثم بين الله سبحانه وتعالى الحكمة في تحويل القبلة إلى الكعبة بقوله : وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه . .

قضى الله وحكم أن تكون قبلة المسلمين صخرة بيت المقدس بعد الهجرة استجلاباً لمودة اليهود وترغيباً لهم في أن يدخلوا في دين الله ، وتأليفاً للأنصار الذين يعتمد الرسول عليهم في نصرته . وما مضى على هجرته صلى الله عليه وسلم سبعة عشر شهراً حتى انتشرت الدعوة الإسلامية في تلك البقاع ، ورفرف علم الإسلام ، وقامت شواهد صدق الرسول ، وحلت أعلام نبوته في قلوب من صفت نفوسهم ، فقويت شوكة الإسلام واعتز جانبه ، وعاد به من خافوا صولته وتهميوا بطشه ، فقضى الإسلام لبانته ، وجنى ثمرات ، وتمت له الحكمة المنشودة من التوجه إلى بيت المقدس . فأمر بالتوجه إلى الكعبة ، لتمييز المؤمنين الذين أشربوا حب الإيمان فملك عليهم قلوبهم وقادهم إلى امثال أوامرهم ، من الذين لم يعد الإسلام حناجرهم ، ولم يجد الإيمان له محلاً في قلوبهم ، ليكون الرسول على بينة من أمرهم ؛ يعرف من يكون موضع ثقته فيتخذهم عوناً صالحاً لإعلاء كلمة الله ، ومعولاً هادماً وسلاحاً ما ضياء تمزيق أعداء الدين ، وبأخذ الحيلة بمن لبث ثوب الإسلام على سبيل الاستعارة ، فيأمن غوائله ، ويرد كيده في نحره . وإلى هذا يشير الله بقوله : وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه . .

يرى بعض العلماء أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يصلي بمكة إلى الكعبة ، ثم أمر بالصلاة إلى بيت المقدس بعد الهجرة تأليفاً لليهود ، ثم حول إلى الكعبة . وعلى هذا فمعنى الآية : وما جعلنا القبلة التي تحب أن تستقبلها ، اللمحة التي كنت عليها أولاً بمكة وهي الكعبة بأي ما رددناك إلى التوجه للكعبة في حال الصلاة إلا استجلاباً للناس إلى الإسلام . . .

المسئولية الأدبية

لفضيلة الأستاذ الشيخ منصور رجب
المدرس بكلية أصول الدين

فرقنا في مقال سابق بين المسئولية القانونية والمسئولية الأدبية ، بأن الإلزام في الأولى آت من سلطة خارجة عن ذات الشخص : تلك هي سلطة القانون الذي يحرم ، والدولة التي تعاقب : وفي الثانية آت من سلطة داخلية في ذات الشخص : تلك هي سلطة الضمير الذي يحرم ويعاقب : وعرفنا أن الإنسان مسئول أدبيا عن أعماله جميعها من ألفها الى يائها ، أمام الله ، وضميره ، وبني جنسه : وليس الأمر كذلك في دائرة القانون الوضعي ، ما دام أنه لا يشمل إلا المسائل العمومية التي

هار ، ينكص على عقبيه فيرتد عن الإسلام عند تحويل القبلة . وعلى هذا تكون الآية الكريمة سبقت لبيان الحكمة في جعل الكعبة قبلة .

ويرى بعض العلماء أن هذه الآية قد سبقت لبيان الحكمة في جعل بيت المقدس قبلة . والمعنى عليه : وما جعلنا القبلة التي كنت عليها قبل وقتك هذا وهي بيت المقدس إلا لتعامل الناس معاملة الممتحن والمختبر ، ونميز للرسول من يتبعه ممن لا يتبعه وينفر منه . وهذا هو المروى عن ابن عباس حيث قال : كانت قبلة الرسول بمكة بيت المقدس ، إلا أنه كان يجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس . . .

ولقد حكى الله سبحانه وتعالى ما كان منهم إزاء تحويل القبلة ، بأن الأمر كان عظيما عليهم وشاقا على نفوسهم ، بقوله « وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله » أى والحال والشأن كان تحويل القبلة شديد الوقع على نفوسهم ، ذهب بآمالهم الى مهب الرياح ، وطوح بآرهم في أعماق الترى ، فأظلم الجوامعهم ، واكفهرت وجوههم ، إلا من خلق الله الهداية في قلوبهم ، وامتزج الإيمان بنفوسهم فهداهم الى حكمة الأحكام وإن لم يهتدوا الى خصوصية تلك الحكمة بعينها ، فتيقنوا بذلك أن السعيد الفائز من أطاع ربه الحكيم ، وأن الشقي الخاسر من عصى ربه العليم .

تنظم أعمال الإنسان من جهة علاقته بغيره من الناس ، وتمنع أن يؤذى الناس بعضهم بعضا ؛ واقترحنا التوسع في القانون بفرض عقوبة على من يخالف بعض القوانين الأخلاقية المتعلقة بالإحسان إذا امتنع القادر عن مساعدة المحتاج وتسبب عن هذا الامتناع ضرر ؛ ودعونا الى تقوية الروح الديني في نفوس الافراد ؛ فقد سد الدين الفراغ الذي لم يستطع القانون أن يسده ، وأمر بأشياء لم يستطع القانون أن يأمر بها . فهو للجماعات والدول حاجة وأكثر من حاجة .

واليوم نعود الى هذا الموضوع من نواح آخر بسطاله وإيضاحا . ولما كانت الصلة بين الإرادة الإنسانية وما يصدر عنها من الأفعال ، وبين القانون الملزم الذي يسأل الإنسان عن مخالفته ، لما كان ذلك هو المحور الاساسي الذي تدور حوله المسؤولية ، لزم الكلام أولاً على هاتين المسألتين : القانون الاخلاقي ، والإرادة الإنسانية ، بما ينير لنا الموضوع في شيء من الإجمال .

القانون الاخلاقي ، والإرادة الحرة ، هما اثناهما مصدر علم الاخلاق ومفتاحه . غير أن القانون الاخلاقي الذي يلزمنا ، والذي هو في ضميرنا ، والذي هو يناجي عقولنا : هذا القانون نحن نحمله ، ولسكنه ليس إيانا ، ما دام أنه قانون يُلزمنا .

أما الإرادة الإنسانية فهي على ضد ذلك : هي نحن نحن ، وهي شخصنا ، وهي التي تقوم ماهيتها ، وهي على اجملة الإنسان بما له وما عليه ، حتى إن بعض الذين تكلموا في الرق الطبيعي قال : « إن الرقيق شخص ضعيف الإرادة يكون في كنف شخص قوتها يدبر أمره ويرعى شأنه ، وعلى أي اعتبار ننقل قول « بارتلي سانتهير ، عن القانون الاخلاقي والإرادة الحرة ، من مقدمة كتاب الاخلاق الى نيقوماخوس أرسطوطاليس ، قال :

« حينما يريد الإنسان أن يختبر نفسه ويدخل في أعماقها ، فهناك المشهد الكبير الوحيد الذي يكتشفه فيها : عند الفكرة في بعض الأفعال التي فعلها ، بل التي ينوي فعلها ، يسمع في أعماق عقله صوتا يمدحه تارة ويلومه أخرى . ومن المستحيل عليه أن لا يلقى اليه سمعا . ونظرا الى أنه يحمل في نفسه هذا الصوت فلا يستطيع أن ينكره ، ولا أن يلزمه الصمت . متى انتمر بأمره يشعر بأنه عمل صالحا ، ومتى عقه يشعر بأنه عمل سيئا . وإنما في هذا التردد بين الطاعة وبين العصيان تنحصر كل

حياته الأخلاقية فاضلة في حال ، وردة في الحال الأخرى . ولأن يسلم الإنسان نفسه الى خدمة هذه الأوامر الداخلية ، ويخلص لتنفيذها في جميع امتداداتها من غير أدنى اعتبار للأشياء الخارجة ، وأن يكون دائماً مستعداً لأن يضحي لها بكل الضحايا التي تقتضيها : ذلك هو القانون الأعلى الذي يشعر الإنسان بالخضوع له ، ولو أنه لا يعرف إلا نادراً أن ينفذ مع التخرج أحكامه الصارمة . ذلك هو المثل الأعلى الذي لا ينال ، والذي تتطلع اليه أنظار نفس الإنسان . وإن كان يحيد عنه في الغالب إلا أن مرجعه اليه على الدوام . ذلك هو الأمر الواقع المسلم به الذي هو بسيط وجميل معاً ، والذي يكون الأخلاقية كلها . .

وقد يكون من الخير هنا أن نقول : إن قانون الضمير هذا أو قانون الأخلاق الذي وصفه « بارتلى » بـ « سانهلير » بهذه الكلمة قال عنه النبي صلوات الله عليه ما يأتي : روى الحافظ أبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١) : أن أبا ثعلبة الخشني قال : قلت : يا رسول الله أخبرني ما يحل لي وما يحرم علي ، فصعد النبي صلى الله عليه وسلم وصوب ، فقال : « البر ما سكنت اليه النفس واطمأن اليه القلب ، والإثم ما لم تسكن اليه النفس ، ولم يطمئن اليه القلب ، وإن أفتاك المفتون ، .

وقال « بارتلى » ، عن الإرادة : « إن الإنسان حيال هذا القانون الذي يناجي ضميره مناجاة علو وقدرة في بعض الأحيان ، يشعر دائماً أنه يستطيع مقاومته ، فعيشاً يوصيه هذا القانون أن يلزم العدل في فعله ، وعيشاً يزكي العقل هذه الوصية ، فالإنسان قادر على أن يرفض تحت مسؤوليته هذه النصائح القوية الحققة . ذلك لأن له بجانب ذكائه وعقله ملكة أخرى أقوى منهما بوجه ما ، لأنها تستطيع دائماً — متى شامت — أن تكسر نير طاعتها للعقل . تلك هي الإرادة التي لا تخضع لشيء إلا لنفسها . وعرف الإرادة بأنها القدرة التي يستعملها الإنسان للتصميم على وجه أو على آخر من غير أن يقدر شيء في الدنيا على إكراهها ما دامت لا تقبل هي نفسها ذلك الإكراه ، انتهى قول بارتلى .

فبناءً على ذلك ، وحيث إن الإرادة الحرة هي التي تنفذ هذا القانون أو تخالفه فأساس المسؤولية والدعامة التي عليها تتركز ، هي الحرية . وما الحرية إلا الممكنة

الطبيعية التي بها يستطيع الإنسان عمل ما يريد ، ما لم يمنعه مانع من قوة جبرية أو من قانون . إذن ليس الفرد مسؤولاً إلا عن الأفعال التي أرادها بعلمه وحرية ، أو التي لم يرددها ولكن كان من الممكن الاحتياط لها حين كان في انتباهه واختياره . ولهذا السبب لا يسأل الإنسان عن جماله أو بشاعته ولا عن ذكائه أو غباوته ، كما لا يسأل عن مولد ليس له فيه اختيار .

ومن هنا جاءت الشرائع والقوانين تشترط في الفعل الذي يقع التكليف به أن يكون ممكناً ، قال تعالى : « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها » روى الشوكاني في كتابه « إرشاد الفحول الى تحقيق الحق من علم الأصول » أنه ثبت في الصحيح أن الله سبحانه قال عند هذه الدعوات المذكورة في القرآن « ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به » : قد فعلت . وقال : إن هذه الآيات ونحوها إنما تدل على عدم الوقوع لا على عدم الجواز . على أن الخلاف في مجرد الجواز لا يترتب عليه فائدة أصلاً . وهناك شرط ثان للمسئولية ، وهذا الشرط يتعاق بالمحكوم عليه ، وهو المكلف : ذلك هو التمييز بين الخير والشر ، إذ بدونه تنعدم المسئولية . فلا مسئولية إذاً على الحيوان ، ولا على النبات والجماد ، لعدم الفهم ، ولا مسئولية على الجنون الذي فقد حرية الإرادة بفقد الإدراك ، ولا على الصبي الذي لم يميز .

وتختلف المسئولية بحسب درجة تلك الحرية وذاك التمييز تبعاً للأسباب الموجبة لها . مثلاً القانون المدني يلزم الوطنيين بمجرد نشره ، ولا يقبل عذر أحد مدعياً جهله . أما القانون الأخلاقي فهو يلزم فقط من يعلم به . ومن ذلك ترى أن المسئولية الأدبية تزداد كلما ازداد علم الإنسان ومعرفة ، فكلما ازدادت معارفه ، عظمت مسؤوليته ، وكلما ترقى الإنسان في المدنية وتقدم في العمران ، تعاظمت مسؤوليته وربما ما يتعلق بها من ثواب أو عقاب .

وللمسئولية الأدبية مظهران : مظهر الفضل ، ومظهر النقص . ولما كان عمل ما لا يعد خيراً في نظر الأخلاق إلا بالنية ، أوحى الله إلى نبيينا وإلى جميع الأنبياء عليهم السلام أن الأعمال بالنيات : قال تعالى : « وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ

مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ، والإخلاص : النية . وقال صلوات الله عليه : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى » .

روى البدر العيني في كتابه عمدة القارى شرح صحيح البخارى (١) أن أبا بكر ابن داسه قال : « سمعت أبا داود يقول : كتبت عن النبي عليه الصلاة والسلام خمسمائة ألف حديث انتخبت منها أربعة آلاف حديث وثمانمائة حديث في الأحكام ، فأما أحاديث الزهد والفضائل فلم أخرجها . ويكفى الإنسان لدينه من ذلك أربعة أحاديث : « الأعمال بالنيات » و « الحلال بين والحرام بين » و « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » و « لا يكون المرء مؤمناً حتى يرضى لأخيه ما يرضى لنفسه » . وقد نظم طاهر بن مغفوز الأحاديث الأربعة في بيتين لا بأس من ذكرهما ها قال :

عمدة الدين عندما كلمت أربع من كلام خير البرية .

اتق الشبهات وازهد ودع ما ليس بعينك واعلم ان بذه

وحيث إن الفضل والنقص يتعلقان بالناحية الباطنة للإنسان ، وهذه الناحية الباطنة خافية على نظرنا الضعيف - جل الله الذى تفرد بأسرار القلوب - ، وليس من المحال أن عملا عليه كل ظواهر الفضيلة يكون غاية في الشر بماله من الأسباب القوية الخفية التى اقتضته ، فإني أكرر الدعوة وألح في وجوب تقوية الروح الدين في نفوس الأفراد لشعروا بالمسؤولية الأدبية الملقاة عليهم : تلك المسؤولية الخطيرة التى تتطلب منا في هذا العصر المعقد أن نساهم في بناء جيل جديد يشعر أفراداه بالتراحم الأخوى بينهم ، عاملين على تقوية أنفسهم بتكاليف الفطيلة الشاقة ، وبالمشاركة على جهود طويلة مخلصة .

المقياس الادبي للشاعر

لفضيلة الاستاذ الشيخ حامد عوفى

المدرس فى كلية اللغة العربية

للشاعر مبدأ يتجسم فيه ، وتنجلي عنده شخصيته وعظمته ، وعليه تتوقف كرامته ومعزته : ذلك هو ما تأتبه شاعريته من عبقرية فى عالم التصوير والتعبير هذا المبدأ هو مقياسه الصحيح ، وإن هالك منه مبدأ ساقط فى خلقه أو عقيدته .

خذ المتنبي من شعراء العرب مثلاً ، وأعرض أمامك شعره ، ثم ارجع الى نفسك ، وتأمل مشهد الجمال الرائع فيه ، ومكان العبقرية الساحرة من كلامه : فإنك ترى قد نسيت غلوه فى مديحه ، وقذعه فى هجائه ، وتماديه فى كبريائه ، وتفغته فى أوصافه ، وتجسم لك منه جمال خفى ، هو شخصيته الادبية المتمثلة فى بيانه الساحر ، وشاعريته الخلاقة .

فليس المتنبي الذى نكرم ، ونجل شعره ، مداح سيف الدولة أو كافور : ولا هو ذلك الروح الطامح الفخور ، ولا هو ذلك الهجاء المقذع ، ولا هو ذا الأنف المحشو صافاً وكبراً : بل هو تلك الشرارة المنبعثة من توقد ذهنه واقتداح فكره : هو شاعر الحياة فى عصره ، ومصدر روعة الجمال بحكمه وأمثاله لأبناء دهره .

وخذ المعرى مثلاً ، وادرس شعره ، ثم قف وتأمل مدى تأثيره ، وسل نفسك بعد ذلك : لماذا يُجلّ الادباء أبا العلام ؟ ولأى شئ يقدرسونه ؟ وما هى القوة الدافعة إلى الإعجاب به ؟ وعلام ذاع صيته بين أدباء عصره وغير عصره ؟ لا مرأى أنك إذ تنظر اليه جملة ، تتغاضى عن تكلفه ولزومه ، وتنأى مرارته فى تشاؤمه وانتقاده ، وتغضى الطرف عن تطرفه وتغاليه فى اعتقاده ، ويتلصق منه ما يملؤك روعة وجلالا ، وينفث فيك سحرا حلالا .

فبدؤه فى الحياة والوجود ، واعتقاده فى الإنسان والعُمران — إن صح

ما يقولون — مبدأ يهولنا أمره ، وقد يهيج بنا شعور الكراهية له ، والزراية به ، ولسكننا مع ذلك لا يسعنا أن ننكر على الشاعر عبقرية ، ولا يشينا عن أن نتقدم اليه بالنجلة والإكبار ، ونرفع أبصارنا اليه كما نرفعها الى علم في رأسه ناز . فما المعرى الذى نقيه به وبشعره هو ذلك الزائع العقيدة ، المنحرف عن الجادة ، المتناقض في رأيه ، ولا هو ذلك الملحد القاتل :

إذا كان لا يحظى برزقك عاقل وترزق مجنونا وترزق أحقا
فلا ذنب يا رب السماء على امرى . رأى منك ما لا يشتى فتزندقا
بل هو ذلك البعيد الغور ، المتوهج الذكاء ، المتعمد الخاطر ، الشديد التعمق في المعاني ، والتصورات الفلسفية : هو ذلك المفكر البعيد المرمى ، الذى يحاول يديع تصورات ، ورائع خيالاته ومبتدعاته ، أن يخترق الحجب إلى ما لا تدركه العقول ، وحسبك هذا سببا لإكرام الشاعر ، وتقديسه وإكباره .

بهذا المقياس الأدبي نقيس شخصية شاعرنا الكبير « شوقي » في كل جيل ، وفي كل زمان . فها هو ذا في مظاهر ديوانه : مداحة ، منادم ، وطنى ، محب ، حكيم ، كما هو شأن الكثير من شعراء عصره : ولكن المتأمل في شعره يرى فيه إبداعا في المعنى ، وبراعة في التصوير ، هما حقيقته التى تميزه عن الكثيرين ، ومقياسه الذى نقيسه به .

فليس هناك ميزان نزنه به سوى النزعة الأدبية السامية ، التى ضرب الشعراء على أوتارها ، فهزت الشرق العربى من أقصاه إلى أقصاه

فما شوقي في تاريخ الأدب ذلك اللعوب اللاهى تحت كرمه ابن هانىء ، ولا ذلك المداحة المنادم فى بلاط عباس الثانى ، بل هو ذلك الروح الشرقى ، مهييا بالشرقيين إلى تسلم ذروة الإبداع والابتداع فى عالم الأدب والشعر العربى ، دافعا بهم الى الأمام .

ولو التفتنا الى وقتنا الحاضر ، وأردنا أن نرسم صورة أحد من أفذاذ شعرائه ما استطعنا الى ذلك سبيلا ، دون أن نحاول الوصول الى المجرى الفكرى منه ، أو الروح الأدبى فيه ، من غير نظر الى ما وراء ذلك .

علماء البلاغة :

السيد الجرجاني

٧٤٠ - ٨١٦ هـ

نظمية الأستاذ الشيخ علي محمد حسن العماري
مبعوث الأزهر الى المعهد العلمي بأم درمان

لا يكاد يذكر اسم سعد الدين التفنازاني حتى يطوف بالخطاطر اسم السيد الشريف ، وقد أصبح من العبارات المألوفة عند دارسي علوم البلاغة والكلام ، أن يقولوا « السعد والسيد » : فمن هو السيد الجرجاني ؟

نشأته : هو علي بن محمد بن زيد الداعي ، بينه وبينه ثلاثة عشر أباً ، ولد في قرية قريبة من (سراياذ) بين همدان وبغداد ، وتلذ لسعد الدين ، وأخذ شرح المفتاح للقطب عن ابن مؤلفه مخلص الدين ، وقدم القاهرة ، ودرس بها ، ثم خرج الى بلاد الروم ، وقدمه السعد للشاه ، فظهر نبوغه واشتهر عليه ، فعين أستاذاً في شيراز ، حتى افتتح تيمورلنك شيراز ، فأرسله الى سمرقند ، فبقي بها مدة حياة تيمور ، ثم عاد الى شيراز . ومع ما كان له من عظيم المكانة في بلاط تيمور فقد لقي من عنت الأيام ، ومن قسوة الدهر أحداثاً ، جعلته يحجر بالشكوى ، ويتبرم بعيشه ، فلا ينسى أن يتحدث عما لقي من صروف الزمان ، وخطوب الأحداث ، ولا يرى بدا من أن يذكر أنه ابتلى في آخر عمره بالرحلة الى ما وراء النهر .

مؤلفاته : ألف في كثير من العلوم ، باللغتين العربية والفارسية : ألف في الفقه والنحو والتفسير والكلام والفلسفة والفلك ، وألف في علوم البلاغة : (١) شرح المفتاح . (٢) علم المعاني والبيان ، وهو شرح للقسم الثالث من مفتاح العلوم ، وهو مخطوط منه نسخ بالمكتبة الأزهرية . (٣) حاشية على المطول لسعد الدين ، وهي مشهورة : وكثير من مؤلفاته شروح وحواش على بعض الكتب ، وبعضها كتب موضوعاً ، وقد انتفع الناس بمؤلفاته ، واعتبروه حجة في كل هذه الفنون : ومؤلفاته مشهورة في كل فن ، يحتج بها أكابر العلماء ، ويقتلون

منها ، ويوردون ويصدرون عنها ، وهي كثيرة المعاني ، واضحة الالفاظ ، قليلة التكلف والتعقيد الذي يوقع فيه عجمة اللسان ، كما يقع في مصنفات كثير من العجم . والسيد يميل الى التحقيق الدقيق ، ويعنى بنقد العبارة . ولعل ولعه بالتعمق في البحث وتصفية الأسلوب هو الذي دعاه الى كتابة كثير من الحواشي ، والتعليقات على المؤلفات .

منزله العلمية : من علماء الشرق الانداز في عصره ، وقد كان إماما في جميع العلوم العقلية ، وكثير غيرها ، متبحرا في دقيقتها وجليلها ، وسار ذكره ، وطار صيته في الآفاق ، وقد كان العلماء في عصره يفتخرون بالأخذ عنه ، والانتساب إليه ، ثم صار من بعدهم يفتخرون بالأخذ عن تلامذته . وقد قدمنا في ترجمة السعد أن علماء العجم كانوا يعدون من مفاخر كبار علمائهم أن يكون رأيه مع السيد أو مع السعد .

ونستطيع أن نتبين المنحى الأصيل للسيد الشريف في البلاغة إذا نظرنا نظرة فاحصة في كتبه ، وليكننا نجد من كلامه هو شاهدا نكتفي به الآن . فإننا نتبين منهجه في التأليف والتحقيق من هذا الذي ذكر . ونحب أن نقول قبل أن نذكر هذه العبارات : إن هذه المدرسة (مدرسة السعد والسيد) ، والمدرسة التي كانت قبلها الى عهد السكاكي ، والمدارس التي جاءت بعد ذلك ، كانت كلها مطبوعة بطابع واحد لا يشذ عن ذلك إلا أفراد : ذلك الطابع هو الذي يصوره السيد في العبارات التي سننقلها ، وهي فقر من مقدمته للحاشية التي كتبها على المطول . على أننا ذكرنا آنفا هذه الطريقة عند ما نقلنا قول العلامة ابن خلدون فيها . قال السيد : « وعساك إذا تأملت فيها متمسكا بذيل الإنصاف ، ومتجنباً عن مسلك الاعتساف ، ظفرت بما تستعين به على تحقيق أصول من البلاغة في مواضع شتى ، وتتسلق الى فروعها كما تحب وترضى ، وانكشفت لك مطالب جليلة من عبارات القوم قد زل عنها أذهان أقوام تاهوا فيها ، خصوصا في مباحث التعريفات ، وتحقيق أقسام الوضع ، ومعنى الحرف ، وأنواع الدلالات ، وفي الكشف عن زبدة التعريض ، وحقائق الاستعارات ، فهذه كلها مباحث منطقية ينظر إليها السيد وجميع علماء البلاغة في عصره وفيما بعد عصره ، نظرا خاصا . ولا غرو .

لذلك السكاكي يعد علم المنطق مكملًا للعلوم البلاغة

لكنه في مقدمة كتابه (المعاني والبيان) نجده يهيج نهجا نظنه بعيدا عن طريقة هؤلاء : فهو يقول بعد الحديث عن أصحابه الذين طلبوا إليه أن يشرح القسم الثالث من المفتاح « نملئ عليهم ما ينجيهم من الضلال ، ويحظيهم بأجل نوال ، في عبارات موضحة بلا إملال ، وإشارات موفقة بلا إخلال ، نشيد فيه قواعد القوائد ، ونهد فيه موائد العوائد ، معرضين عما لا طائل في رده ، ولا حاصل في نقده ، ومقتصرين على تاختيص الصواب ، وتمييز القشر من اللباب » . وهي وعود - وربي - حلوة جميلة ، ولكننا لا نجده يخرج في تلك العبارات ، وهذه الإشارات ، عن التحقيقات اللفظية ، والمباحث المنطقية .

على أني لاحظت على هؤلاء الأعلام ، أنه ما من مؤلف إلا يبتدىء تأليفه بالثناء على نفسه ، والامتداح لها ، وبيان ما حصله من العلم ، وما وقف عليه من التحقيق : وهذه صفة لا تزال من لوازم العلماء ، وهي نقص كبير : غير أن ما وقع فيه السيد الشريف كان أبعد عن جادة الاعتدال ، فقد رأيت به يتقص من سبقوه إلى شرح المفتاح ، وهو — بطبيعة الحال — يعني شيخه السعد ، وشيخ السعد القطب : فقد ألف السعد شرح القسم الثالث من المفتاح في مدينة سرخس سنة ٧٨٦ هـ وبعده بتسع سنوات ألف السيد شرحه لهذا القسم : وقد ذكرنا أن السيد قرأ شرح المفتاح للقطب في بدء دراسته . ثم تراه يقول في مقدمة هذا الشرح : « حتى ابتليت في آخر العمر ، بالارتحال إلى ما وراء النهر ، فوجدت هناك أقواما عطشى الأكباد ، يحومون حول الكتاب ولا يمتدون إلى واردة سبيلا ، وآخرين منحرفين عن السداد قد خاضوا إلى الجحيم بلا إرشاد ، فلم يجدوا عن فرائده دليلا ، وكانوا في حيل تراكيبه ، والكشف عن نكت أساليبه ، متكئين على شروح أكثرها جروح ، وأمثلها مدخول ومجروح ، لا ترى فيها لغيل شفاء ، ولا لغيل دواء ، كسراب بقية يحسبه الظمان ماء ، قد اتخذوها مسارح أنظارهم ، ومطارح أفكارهم ، فقلنا يأهل الكتاب لستم على شيء تنفخون بلا ضرام ، وتسمنون بلا أورام ، تضيعون الأعمار ، ولا تستضيئون الأنوار ، وتحسبون أنكم تحسنون صنعا : فاعمرى ما أنتم إلا كباسط كفيه إلى الماء أو كنازح من البئر بلا رشاء ، بل كطالب للترقي إلى السماء ، فهذا التجريح الاليم ، والمجوم العنيف على أساتذته لا يرضينا حتى في هذا العصر الذي أصبح من فضائل العالم فيه

أن يتنقص غيره من العلماء . ثم إذا تابعناه وجدناه بعد ذلك يطيل في الشاء على نفسه ، ويسمو بها إلى مكان رفيع مما نلده تنصا في العلماء ، فيقول عن أصحابه : « فآئناهم من آياتنا الكبرى ، فظلمت أعناقهم لها خاضعين ، فقالوا آمنا بما جاءنا من الحق المبين ، فزدنا من لدنك علماء ، وهيء لنا من أمرنا رشدا » ، ولو لا أن أكون عيايا ، ثم للعلماء خاصة — كما يقول الجاحظ — لوصفت هذا الكلام بما هو أهل له ، ولكن يضيق صدري ولا ينطلق لساني !

مناظرته مع أستاذه : لعل مناظرته مع السعد من أشهر المناظرات العلوية ، وقد كان لهذه المناظرة صدى عال في عصرهما ، ودوى مرتفع ، واختلاف في شأنها بين العلماء ، وبقي لها هذا الشأن زمنا طويلا بعد عصرهما ، حتى ألفت فيها الكتب ووضعت الرسائل لترجيح رأى أحدهما : ويغلب على ظني أنه جرت بينهما أكثر من مناظرة ، ولكن رويت لنا مناظرتان حدثتا في مجلس تيمور ، كان موضوع الأولى (كون إرادة الانتقام سببا في الغضب ، أو الغضب سببا في الانتقام) ، وكان موضوع الثانية (اجتماع الاستعارة التبعية والتمثيلية في كلام صاحب الكشف في قوله تعالى أولئك على هدى من ربهم) . وقال الشوكاني في كتابه (البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع) ما يأتي : « وجرت بينهما المناظرة المشهورة في قوله تعالى : « ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة » . ومن هنا رجحت أنه جرت بينهما مناظرات لا مناظرتان فقط .

وفي المناظرة الأخيرة تجمعت أسباب ، وتظاهرت في جانب السيد ، فاستطاع أن يصرع خصمه ؛ من هذه الأسباب ما هو سياسي ، ومنها ما هو علمي . ونجملها فقول : كان السيد في هذا الوقت في سن الخمسين ، بينما كان السعد في حدود السبعين ، وقد حلت به العلل والأمراض ، وذهب عنه الإخوان والأنصار ، يحدثنا هو بهذه الحال الاليمية حين شرع يشرح القسم الثالث من المفتاح ، وكان ذلك منذ خمس سنوات ، فيقول : « لكن لم أجد في نفسي حركة نشيطة ، بل حردة مستشيطة ، لما رأيته قد أخذت السن من قواي ، وذهب مع الركب هواي ومناي ، وقد آذن الكفيل بالرحيل ، ولم يبق مني إلا القليل ، مع ما منيت به من انقراض من كنت أراجعه من الفضلاء الذين تفسحت في هذا الباب خطاهم ، والأذكياء الذين تنفست في مياديتهم مداهم ، ومن مفارقة الإخوان الذين كان الواحد منهم يسوء

الكلمة فيضعها على رأسه ، ويعض عليها بأضراسه . ومن الخطأ البين أن يغفل الباحث في مثل هذه المناظرات عامل السن ، وضعف القوى ، والحالة النفسية : فإن هذه المناظرات تحتاج إلى سعة الحيلة ، وقوة العارضة ، وإجادة (التهريج) أكثر مما تحتاج إلى رزانة العالم ، وعبقورية النابغة . وعندى أن البديع المحدثاني كان يعتمد في مناظرته مع أستاذه الخوارزمي على أمور أهمها هذا الفارق في السن . يضاف إلى ذلك أن مكانة السيد السياسية كانت أقوى من مكانة السعد ، ويقال إن وزيراً من وزراء تيمور كانت ضلعه مع السيد ، بل يقال ما هو أبعد من ذلك ، وهو أن هوى المحكمين في المناظرة كان مع السيد ، ولا ننسى مطلقاً هذا الفارق الذي أشرنا إليه آنفاً ، من أن السيد كان فصيح اللسان ، ناصع المقالة ، طيب الحديث ، في حين كانت في السعد لكنة في اللسان ، وعجمة في الأسلوب .

كل هذه كانت مقدمات طبيعية لانتصار السيد . على أننا نشك في كثير مما لا بس هذه المناظرات ، فإن من مصادرها ذات الأهمية كتب السيد نفسه ، ونحن لم نفس ما كتبه السيد في امتداح نفسه ، والإشادة بنبوغته حتى استخدم الآيات القرآنية في هذا السبيل ، استخداماً لا نحمده له ، فلا يبعد عندي أن يكون انساق في تأريخ هذه المناظرات وراء عاطفة حب النساء التي ظهرت أماراتها فيما كتب عن نفسه .

ومما يكن من شيء فإن هذه المناظرات لم تعد على العلم بفائدة ؛ فقد دارت حول مما حركات لفظية ، لا طائل تحتها ، وهي إلى الجدل أقرب منها إلى لباب العلم . على أن الحق الذي كان بين المتناظرين حملهما على كثير من التحامل ، فلم يبد على هذه المناظرات حب الحقيقة أو خدمة العلم ، في حين أنها عادت على السعد بخسران عظيم ، فيما حدث المؤرخون ، فقد قالوا : إنه لما غلب كمد ومات في العام التالي .

وقد كتبت في هذه المناظرات مجموعة من البحوث ، ألف الشوكاني رسالة خاصة سماها (الطود المنيف ، في الانتصار للسعد على الشريف) . وفي دار الكتب المصرية رسالتان مخطوطتان في هذا الموضوع ، الأولى (مسالك الخلاص في مهالك الخدواص) لطا شكري زاده ، والأخرى في تحقيق الاستعارة التمثيلية ، ونقل ما ذكره فيها من التبعات بين السعد التتلمذاني والسيد الشريف الجرجاني .

وهناك رواية تقول : إن الجرجاني سأل سعد الدين سؤالاً محرجاً في جمع من العلماء والأمراء فلم يعرف جوابه فمات لساعته ، وكان له حفيد عالم هو شيخ الإسلام أحمد بن يحيى بن محمد عرف فيما بعد بسبب موت جده ، فصمم على الأخذ بثأره بنفس الطريقة ، فانتهر فرصة وجود الجرجاني في حفل كبير ، وألقى عليه سؤالاً عويصاً كانت نتيجته أن خر الجرجاني صريعاً . وقد تأكد عندي أن هذه خرافة ، لأن الحفيد توفي سنة ٩٠٦ هـ فمهما طال عمره فلن يدرك السيد إلا طفلاً ، اللهم إلا إذا كانت جرت هذه القصة مع حفيد آخر من أحفاد السعد غير هذا المشهور ، وسواء أكانت أسطورة أو كان لها ظل من الحقيقة ، فإنها تدل على ما كان يشغل أذهان الناس من أمر هذه المناظرات والمنافسات بين العالمين الكبارين .

مقارنة : تكاد تتشابه حياة هذين العالمين في كثير من فصولها ، ويكاد يكون وصفهما لحالهما ولأهل زمانهما ، ولاندراس العلم في عصرهما ، يكاد يكون هذا الوصف صورة واحدة ، وإن كنا نرجح أن السيد قلد السعد في هذا ، كما أنه أخذ كثيراً من تعبيراته .

شكا السعد دهره ، وذم أيامه ولياليه ، في عبارات لطيفة ، في مقدمة كتاب (الإصباح) المشهور بالمطول ، فقال : « وحين فرغت من تسويد هذه الصحف ، بتلك اللطائف :

رمانى الدهر بالارزاء حتى فؤادى فى عشاء من نبال
فصرت إذا أصابتى سهام تكسرت النصال على الاتصال
وذلك من توارد الأخبار بتفاقم المصائب فى المشائر والإخوان ، عند تلاطم
الفتن فى بلاد حراسان ، لا سيما :

ديار بها حل الشباب تمانى وأول أرض مَسَّ جلدى ترابها
فلقد جرد الدهر على أهلها سيف العدوان ، وأباد من كان فيها من السكان ، فلم
يدع من أوطانها إلا دمة لم تتكلم من أم أوفى ، ولم يبق من زبها إلا قوم ببلد عجنى .
كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ، ولم يسمر بمكة سامر .
والى الله المشتكى من دهر إذا أساء أصر على إساءته ، وإن أحسن ندم عليه
من ساعته ، ثم ألجأتى فرط الملل ، وضيق البال ، الى أن تلفظت إلى أرض ،
وتجرنى من رفع الى خفض . .

وهكذا نجده يردد أمثال هذه الشكايات : كما نجد السيد يتحدث عن نفسه شاكيا أيضا ، وإن كان في ذلك أخفض صوتا ، وأهدأ نفسا ، وأخف شكاية . وكلاهما يذم الناس في عصره ، ويضيق بجهلهم وحسد ذرعا ، وفي ذلك يقول السيد بعد أن مهد لشرح القسم الثالث من المفتاح « هدية مني إلى كل ذكي جبل على الإنصاف طبعه ، وعصم على الاعتصام نفسه ، وقليل ما هم ، وإن أكثرهم — كما ترى — إما على قلوبهم أكنة فلا يكادون يفقهون حديثا ، أولئك كالأنعام بل هم أضل سبيلا ، أو يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ، فإذا جاءهم ما عرفوا كفروا به ، وأرادوا تلبيسا وتديسا ، أولئك حزب الشيطان ، ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون » . ويقول السعد في وصف أخلاق الناس : « وإلى الله أتضرع في أن ينفع به المحصلين الذين هم للحق طالبون ، وعن طريق العناد ناكبون ، وغرضهم تحصيل الحق المبين ، لا تصوير الباطل بصورة اليقين ، وهذا — لعمري — موصوف عزيز المرام ، قليل الوجود في هذه الأيام ، فلقد غلب على الطباع اللدد والعناد ، ونشأ الجدل والحسد بين العباد ، ولئن فاتني من الناس الثناء الجميل في العاجل ، فحسبي ما أرجو من الثواب الجزيل في الآجل ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب » .

ويتصل بهذا نظرتهم إلى من سبقهما من المؤلفين والعلماء في عصرهما ؛ فالسعد يتعرض لهؤلاء . ولكن في رفق وأدب ، يتحدث عن المفتاح فيقول : « ترى بعض متعاطيه قد اكتفوا بما فهموه من ظاهر المقال ، من غير أن يكون لهم اطلاع على حقيقة الحال ، وبعضهم قد تصدوا لسلوك طرائقه من غير دليل ، فأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل » . أما السيد فانه يعرض لهؤلاء ، ولكن في عف وقسوة وسخرية لاذعة ، وحسبك ما نقلناه عنه آنفا في هذا الشأن .

وقد عرفت دون شك من ترجمة الرجلين ما جهر به من اندراس العلم في زمانهما ، أما الأسلوب فانا نجد السيد أنصع أسلوبا ، وأصفي ديباجة ، وأبعد عن الأصباغ اللفظية ، حتى السجع نفسه لا يكاد يلتزمه ، والمحازات البعيدة ، والاستعارات المزدولة ، كلامه بمنأى عن ذلك كله ، مع سلاسة ويسر ، ولين ، وسهولة ، وهو — كما رأينا — مغرم بالاقتراس من القرآن الكريم .

عود الى حديث الفطرة

لفضيلة الاستاذ الشيخ محمد محمد المدني
المفتش بالأزهر

في عدد من أعداد مجلة الأزهر الغراء كُتبت بحثاً مختصراً عنوانه « فطرة الله ،
بَيَّنَتْ فيه أن الاعتراف بالخالق والإيمان بوحديته هو الأصل والفطرة التي
فطر الله الناس عليها ، وأن مظهر ذلك هو العقل الإنساني الذي لا يسعه حين
يتدبر الدلائل ، ويرى هذا الكون البديع ، إلا أن يعترف ويؤمن بصانعه القدير ^(١) .
ولو أن الفطرة الإنسانية ظلت كما هي ، وظل الناس جميعاً معترفين بربهم ،
مؤمنين به إيماناً صحيحاً على أنه الإله الواحد القادر العادل الذي لا سلطان لأحد
مع سلطانه ، ولا فرق في عدله ورحمته وألوهيته بين إنسان وإنسان -- لاجُدت
هذه الفطرة السليمة على العالم كله خيرات وبركات ، ولما تولد كثير من ألوان
الشُرور والفساد التي عرفها البشر ، فحملوا منها أعباء ثقالاً ، وذاقوا بها آلاماً
مريرة ؛ ذلك بأن عقيدة التوحيد هي أرسخ العقائد التي تنبئ عليها كرامة الإنسان ،
وتجعله يشعر في نفسه دائماً أنه كائن حي سام ، ليس كغيره من هذه الكائنات التي
تسام الخسف ، وتسخر للأقوياء والمسلطين ، وأن له في الحياة رسالة كريمة اختاره
الله لأدائها ؛ هي عمارة هذا الكون ، والانتفاع بما خلق الله فيه من شيء .

ولكن هذه الفطرة الصافية لم تلبث على صفائها ، ولم يزل بها أهل الأهواء
والشهوات من الرؤساء والكهنة وأمثالهم حتى كدروها وأفسدوها ؛ فكل من
قرأ تاريخ الأمم ، وتابع أطوار العقائد فيها ، يدرك في وضوح وجلال أن هذين
الصنفين من الخاصة قد تأمروا على العامة في كل شعب ، فأضلواهم سواء السبيل ،
ليتخذوهم عبيداً لهم ، وآلات مسخرة ، تتحرك متى يشاءون ، وتقف متى يشاءون ،
وتعمل ما يرسمون ، وترك ما لا يريدون ، دون أن تعرف لنفسها حقاً ، أو تدرك
لمساذا سخرت هذا التسخير .

تأمر هذان الصنفان من الخاصة على الشعوب ؛ فأما الرؤساء فقد اصطفوا الكهنة وأمثالهم يغدقون عليهم العطاء ، ويمنحونهم كثيرا من ألوان السلطان والنفوذ ، ليقودوا لهم العامة ، ويسلسوا لهم هذا القباد . اصطنعوا الكهنة وأمثالهم ممن زعموا أن لهم اتصالا بعالم الغيب ، ونسبة خاصة الى القوة القاهرة المدبرة للكون ، وتظاهروا أمام الناس بأنهم خاضعون لهم ، منفذون لما يشيرون به ، قائمون في ذلك بما يمليه الآلهة المقدسون بوساطتهم ؛ وهكذا تظاهروا أمام الشعوب بأنهم حماة العقيدة ، وصدقهم هذه الشعوب ، ففعلوا باسم هذه الحماية ما أرادوا ، واستغلوا بها ما استغلوا ، والناس عنهم غافلون !

وأما الكهنة وأمثالهم ، فقد لذت لهم هذه السلطة الغيبية التي زعموها لأنفسهم ، والتي دان لها الناس من حكام ومحكومين ، إما عن تصنع وخبث ودهاء ، وإما عن عقيدة وثقة واطمئنان ؛ لذت لهم هذه السلطة التي جعلت لهم مكانا رفيعا ، ونفوذا مطاعا ، وجلبت لهم من المنافع الخاصة ما لم يكونوا ليدركوه لولاها ، فاستمروا ذلك ، وحافظوا عليه ، وأمعنوا في تضليل الناس ، ولفتهم عن مقتضى الفطرة ، وبذلك اقتسموا مع الرؤساء السيطرة والمنافع ، وتحالف الجميع على أن يظل لكل منهم نصيبه ، لا يحاول الآخر أن ينقصه أو يمسسه من قريب أو من بعيد . ومضت على ذلك حقبة ودهور ، فخلع الناس على الأوهام والخرافات صفة المعتقدات الحققة ، وتوارثوها كأنها حقائق مسلمة لا تقبل الجدل ولا المراء ، وخفت كل صوت من أصوات المعارضة لها ، والنقد لما فيها ، والتنبيه إلى فسادها ، خوفا من غضب هؤلاء المتأمرين ، وتجنبيا لانتقامهم السريع الفظيع ، فانحط بذلك شأن الإنسان ، وفقد كرامته ، واستناب إلى المتأمرين عليه ، لا يقاومهم ، ولا يسائلهم ، ولا يشك فيهم ، ولا يعتقد أن وراء ما يقولون قولا ، أو غير ما يحكمون حكما ، وكان من آثار ذلك أمران خطيران :

أولهما : أن السبل تشعبت بالناس ، ففترقوا في العقائد ، وانحرفوا عن إدراك الواقع الصحيح فيها ، فصار منهم من يعبد الكواكب ، ومنهم من يعبد الأحجار ، ومنهم من يعبد الأشجار ، ومنهم من يعبد أنواع الحيوان ، وبهذا أصبح الجنس الواحد أجناسا مختلفة ، تقطعت بينهم الأسباب ، وافتقرت السبل ، وانحلت عرى التعاون والتوافق .

الأمر الثاني : أن التواء الإنسان عن مقتضى الفطرة ، وارتطامه في ظلمات الشرك والوثنية ، جر عليه ألوانا من الفساد والشر ، فكان فريسة الجهل والظلم ، وأصبحت القوة هي القانون المطاع ، كما هو الشأن بين وحوش الغاب ، وليس للأخلاق موازين ، ولا للفضائل مقاييس ، ولا للشرف قيمة ، ولا للحياة الطيبة مُثل تحتذى أو تراد ؛ وما لهذا خلق الإنسان ، ولا بهذا استحق خلافة الله في الأرض ، ولا لهذا استحق بنو آدم التكريم على سائر ما خلق الله .

فلم يكن بد من « هداية الله » تكفله وتهديه وتقرب له السبيل ، وترسم له الصراط المستقيم ، وتبضره بقيمته وكرامته ، وتخرجه من الظلمات إلى النور . وبذلك كانت الرسالات الإلهية ، فأوحى الله ما أوحى إلى نوح والنبیین من بعده ، حتى ختمت الرسالات بأشرف رسالة وأكملها ، وأبقاها على الأيام : رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

تري هل طال الأمد على الناس ، ففسدوا ما ذكروا به ، وقسمت قلوبهم ، فهم يعودون إلى لون آخر من ألوان الانحلال ، وفقد الكرامة الإنسانية ، والتخاضع والتقاطع ، لاختلاف الأفكار ، وتعدد المنازع والعقائد ؟

لقد انبثق نور الاسلام من الجزيرة العربية في عهد محمد وخلفائه ، فلم تبق عين في العالم إلا شهدت هذا النور ، وانتفعت أوتهايات الانتفاع به ، ولو ظل المسلمون على ما كانوا عليه في ذلك العهد مؤمنين بكتاب ربهم ، وسنة رسولهم ، حاملين لواء هذه الدعوة الكبرى الى العالم شرقيه وغربيه ، لكان للناس اليوم شأن غير هذا الشأن المضطرب ، ولما كانت المذاهب الطائشة ، والأفكار المتنازعة ، والنظم التي تعيش حيناً ثم تموت ، ويضطرب بها العالم حين تعيش وحين تموت ، بل لتحقق الحلم الانساني الجميل في حكومة واحدة تدبر شأن العالم كله ، وتقسم في عدل ويسر ما أودعه الله كل قطر من أقطار الأرض كما هو شأن الأمة الواحدة : فما كان الإسلام إلا خلاصة رسالات الله وصفوتها ، وما كان الإسلام إلا ديناً عاماً للبشرية في مشارق الأرض ومغاربها ، يوم أرسل به الرسول العربي ، ويوم دق به على أبواب العالم في شخص دولتي الفرس والروم : وإنه كذلك حتى يقوم الساعة لرب العالمين .

ولكن المسلمين وقفوا به ، وكأثوا عن دعوته ، وصار حظم من الانتساب اليه ، فلم يعد العالم يبصر هذا النور الساطع ، ولم يعد يسمع عنه إلا الدعاوات السيئة التي يذيعها عنه خصومه ، والطامعون في بلاده .

إن المسلمين مسئولون عن هذا التراث العظيم : لم ناموا عنه ، ولم وقفوا به ، ولم نكسوا عن الدعوة اليه حتى يعم الأرض ، ويكون كما أراد الله دين البشر عامة ؟ ! إنهم مسئولون عن ذلك ، ومسئولون عن السبب الذي أفضى بهم اليه ، ولم يزل عقلاؤهم وكبار مفكرهم يلخصون هذا السبب في كلمة واحدة هي : التفرق ؛ كل شعب من شعوب المسلمين عاكف على نفسه ، مشغول بما عنده ، وكل طائفة من طوائف هذه الأمة الواحدة تنظر الى الطائفة الأخرى كما ينظر الغريب الى الغريب ، أو كما ينظر العدو الى العدو ، فهؤلاء شيعة ، وهؤلاء أهل سنة ، والشيعة تفرق الى كذا وكذا ، والسنة تفرق الى كذا وكذا ؛ تقطعوا أمرهم بينهم زبرا ، كل حزب بما لديهم فرحون .

ومن المحال أن يوجهوا الى العالم دعوة إلى دين الله الحق ، وهم عنه متخاذلون ، وفيه مختلفون . وماذا يقولون لو قال لهم الناس : أى دين تدعوننا إليه ؟ أدين أهل إيران ؟ أم دين أهل مصر ؟ أم دين أهل العراق ؟ أم دين أهل الحجاز ونجد ؟ أم دين أهل اليمن ؟ بل ماذا يقولون لهم إذا قالوا : أصلحوا أنفسكم بهذا الدين أنفسكم أولا ، ثم ادعوا إليه غيركم ؟ .

سيظل العالم بعيدا عن هدى الله ما ظل حملة هذا الهدى عنه غافلين ، وفيه مفرطين ؛ وسيظل أهل الإسلام ضعفاء عن حمل لوائه ، عاجزين عن تجلبة نوره ما داموا في خلافتهم متورطين ، وفي ظلمات عصبياتهم متخبطين .

وإذا كانت الرسالات الإلهية قد أنقذت البشرية في أطوارها الأولى من العنصرين المفسدين اللذين تأمرا عليها ، فإن للعالم لأملا في فئة من المصلحين تتخض عنهم بلاد الإسلام ، فيصلحون ما أفسد الدهر ، ويرأبون ما أثأت يد الغفلات ؛ فقد تأذن الله لبيعن في هذه الأمة بعد حين من يحدد أمر دينها ، ويعيد إلى هذه الدعوة شبابها . وصدق الله العظيم : « فسيقولون من يعيدنا ؟ قل الذي فطركم أول مرة ، فسيقولون إليك رموسهم ويقولون : متى هو ؟ قل عسى أن يكون قريبا ؛ يوم يدعوك فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلا . »

الركن الشرعى للجريمة

فى الشريعة الاسلاميه والقوانين الوضعيه

لحضرة الاستاذ الدكتور أحمد محمد ابراهيم
القاضى بمحكمة المنيا

لا جريمة ولا عقوبة بغير نص :

من المبادئ الأساسية اليوم فى كل التشريعات الجنائية ، مبدأ يقضى بأنه لا جريمة ولا عقوبة بغير نص . ويقصد بذلك أن الشخص لا يعاقب عن فعل أتاه إذا لم يكن معاقباً عليه فى ذلك الوقت ، كما أنه لا يعاقب عليه بعقوبة أشد من العقوبة التى كان يمكن أن يعاقب بها وقت ارتكاب الفعل . فإذا لم يكن الفعل الذى قام به معاقباً عليه ثم صدر قانون يحرمه بعد ذلك ، فلا تجوز محاكمته بعد صدور القانون الجديد . وكذلك إذا كان الفعل معاقباً عليه بعقوبة ما ثم صدر قانون لاحق يشدد العقوبة ، فلا يمكن معاقبة الجانى إلا بالعقوبة التى كان معمولاً بها وقت ارتكاب الجريمة .

هذا المبدأ هو ما جعله علماء القانون ركناً من أركان الجريمة ، وأطلقوا عليه اسم : الركن الشرعى للجريمة . وقد نص الدستور المصرى على هذا المبدأ فى المادة السادسة منه ، فهى تنص بأنه لا جريمة ولا عقوبة إلا بناء على قانون ، ولا عقاب إلا على الأفعال اللاحقة لصدور القانون الذى ينص عليها . وكذلك تنص المادة الخامسة من قانون العقوبات على أنه يعاقب على الجرائم بمقتضى القانون المعمول به وقت ارتكابها .

ولم يعمل بمبدأ شرعية الجرائم والعقوبات إلا منذ الثورة الفرنسية حين حقق الإنسان ؛ أما قبل ذلك فكان سلطان القاضى واسعاً . كان من

حقه أن يعاقب على الأفعال التي يرى العقاب عليها، وأن يقدر العقوبة التي يراها هو مناسبة للجريمة .

والحكمة من تقرير هذا المبدأ هي أن يكون الأفراد على بينة من الجرائم التي يعاقب عليها القانون : فإذا ارتكب شخص بعد ذلك جريمة من هذه الجرائم فقد وجب عليه أن يتحمل نتيجة ما جنت يده . هذا فضلا عن أن علم الناس بالجرائم وعتوباتها يكون رادعاً لهم عن ارتكابها . ويضاف الى ما تقدم أن هذا المبدأ يمنع تعسف القضاء وباقي سلطات الدولة ، فلا يمكن أن يعاقب شخص على ما يباح لسواه ، كما لا يمكن أن يعاقب بعقوبة تختلف عن العقوبة التي يعاقب بها غيره .

ويؤخذ على هذا المبدأ أن المشرع لا يمكنه أن يحدد كل الأفعال التي يجب اعتبارها جرائم : ولذلك كثيراً ما يستطيع المجرمون أن يتحايلوا على نصوص القانون ويأتوا أفعالا في منتهى الخطورة ، ومع ذلك تقف الدولة عاجزة إزاءهم لأن نصوص القانون لا تنسع لعقاب هذه الأفعال . ولهذا السبب صدر في ألمانيا سنة ١٩٣٥ قانون يعطى القاضى إذا رفع إليه فعل ارتكب ، وفيه مساس بالمجتمع الألماني دون أن ينطبق عليه نص جنائي - سلطة اعتباره جريمة وتوقيع العقاب . على فاعله . وقد بدأ علماء القانون الجنائي يعيدون النظر في هذا المبدأ ، وقد كان محل بحثهم في بعض مؤتمراتهم الدولية لمعرفة مبلغ حاجة المجتمع إليه ، ووجه عجزه عن حماية مصالحه .

وقبل أن ننقل إلى بحث ما إذا كان هذا المبدأ معمولاً به في فقه الشريعة الغراء أم لا ، يجب أن نذكر أن الشريعة الإسلامية هي آخر الشرائع ، وواجب العمل بأحكامها في كل زمان ومكان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . ولهذا نجد أن الله سبحانه وتعالى قد وضع الأحكام التي لاصلاح المجتمع إلا بها ، والتي لا يجوز أن يكون هناك خلاف على تحريمها ، وترك ما عدا ذلك لينظمه المشرع في كل دولة حسب حاجاتها . ولقد قدرت آيات الأحكام في القرآن الكريم بحوالى مائتى آية من مجموع آياته التي تبلغ حوالى ستة آلاف آية .

قد يقال لأول وهلة : إن الشريعة الإسلامية لا تعرف مبدأ شرعية الجرائم والعقوبات ، لأنها تعطي القاضي سلطة التعزير في الجرائم التي ليس فيها حد مقدر ، ولم تحدد له هذه الجرائم ولا عقوباتها ، بل تركت ذلك لاجتهاده وتقديره .

ويجاب عن هذا بما سبق ذكره من أن الشريعة الإسلامية لا بد من أن تساير الزمن في تطوره ، وأن تلاحق المجرمين مهما تفتنوا في محاولة الحرب من نصوص القانون : كما أن القاضي مقيد بالأصول العامة للشريعة لا يستطيع أن يحدد عنها ، فلا يجوز له أن يستحسن القبيح ، ولا أن يحرم المباح . هذا فضلاً عن أن هذا المبدأ قد صار محل بحث العلماء ، ولو أن الشريعة نصت على هذا المبدأ وجعلته لازماً ، لاستحال الرجوع عنه فيما لو أثبت الزمن عدم إمكان تطبيقه على وجه مطلق .

وإذا كانت الشريعة لم تضع هذا المبدأ أو قص عليه ، إلا أنه ليس في أحكامها ما يتنافى معه . وفي هذا المعنى قال الأستاذ الشيخ المراغي رحمه الله في كلمة افتتاح أعمال اللجنة التي عهد إليها وضع قانون جديد للأحوال الشخصية : « نعم إنه وإن كان تخير الأحكام حسناً وعمل به من قبل ، إلا أن ترك الحرية للقضاة يختارون ، يعدو في الحقيقة قوانين الدولة الواحدة والأمة الواحدة ، ويحمل الناس حيارى لا يدرون على التحديد أو التقريب القانون الذي يطبق على أ قضيتهم عند التنازع . وقد شعر الناس قديماً بضرر ذلك ، وبوجوب اتباع قانون واحد يسرى على المملكة الواحدة ، فمن الواجب أن يتخير القانون ، وأن يحمل القضاة على اتباعه . الخ ، (١) »

وقد تعرض أستاذنا المرحوم الشيخ أحمد بك إبراهيم لهذا الموضوع فقال : « قدمنا أن التعزير ليس فيه تقدير ، بل هو مفوض إلى رأى القاضي ، وكذا نوعه . وقد أوردنا ما قيل في تحديده بالنسبة لطبقات الناس ، على رأى بعض الفقهاء ..

« بعض الملاحظات : والآن أقول : إن القاضى بهذه السلطة الواسعة يحل محل الشارع فى اختيار نوع العقوبة وتقديرها ثم يقضى بما يراه . وبهذا تكون العقوبة التى يقضى بها أقرب إلى العدل ، إن لم تسكنه ، إذا كان القاضى حسن التقدير موقفا عالما بمعزل عن الهوى أما لو وضعت قواعد لمقادير العقوبات وأنواعها ووزعت على الجرائم على حسب اختلافها ، وقيد المشرع القضاء بما يشرعه له من ذلك ، لكان فى هذا نبوة عن الدقة فى تقدير العقوبة ، لأن حادثتين من نوع واحد ، كاعتداء بضرب أو شتم من شخص على آخر ، محال أو يندر جدا أن تتشابه من جميع الوجوه ، فكيف يكون الجزاء فى كل منهما واحدا ؟ قد يقال إن قواعد العقوبات لها طرفان حاشا عقوبة الأعدام : فباجتهاد القاضى وبما يقتنع به ، وبما ترتاح إليه نفسه ويرضى ضميره ، يقدر العقوبة داخل حدود قاعدتها : وبهذا يقل الاضطراب ولا تتسع مسافة الخلف بين عقوبات الجرائم التى من نوع واحد وفوارقها قليلة . ويحاج عن هذا بأن الطريق الأول هو الأعدل إذا سير فيه السير القويم ، ولكن هيئات ! فى رأى أن التقيد بالقواعد هو الطريق الأسلم ، كما لا يخفى . فإن قيل : إذا كان الأمر كذلك فلم لم يضع الشارع الإسلامى قواعد لضبط العقوبات التعزيرية ؟ أقول : إن ترك الشارع وضع قواعد لذلك من حيث النوع والمقدار والتوزيع ، لهو عين الحكمة والصواب ، ودليل على أنه عليم حكيم يريد ما هو الصالح والأصلح لعباده فى شئونهم الدنيوية فى كل زمان ومكان ؛ فلو وضع لذلك قواعد لوجب العمل بها على جميع من يدين بالإسلام حتى يوم القيامة . ومعلوم أن المجتمع الإنسانى لا يستقر على حال من التغيرات تحت تأثير العوامل المختلفة من داخله ومن خارجه ، فكان من مقتضى الحكمة والرحمة بالناس أن يراعى هذا فى التشريع بالنسبة لأحكام الشئون الدنيوية ، فيترك لأهل كل عصر ما يرونه الأصلح لهم ، مع الاحتفاظ بقواعد الدين الأساسية التى هى خير أساس لبناء الأحكام الصالحة فى جميع الأزمنة والأمكنة . أمر بالعدل والإحسان ، ونهى عن أن يظلم الناس بعضهم بعضا ، وأن يأكل كل بعضهم أموال بعض بالباطل ، إلى غير ذلك من القواعد التى يجب الاعتماد عليها على الدوام ،^(١).

(١) أحكام المرأة فى الإسلام ص ٥٥٥ ، ٥٥٦ بحث منشور بالسنة السادسة من مجلة القانون والاقتصاد

من هدى الاسلام :

من أين لك هذا ؟

أفضيلة الأستاذ الشيخ عبد المنعم النمر
المدرس بمعهد القاهرة

أشرت في كتي السابقة تحت هذا العنوان إلى الأصل الذي لا يمكن أن نبني عليه التشريع الحكيم لمحاسبة الموظفين عن مصدر أملاكهم ومن أين جاءت لهم ، وهذا الأصل هو مصادرة الرسول هدية أعطيت لبعض عماله وضمها للأموال العامة . ومعنى هذا أن الرسول قد اعتبر كل مال اكتسب بسلطان الوظيفة زيادة عن المقرر لها من الدولة ، إنما هو من الأموال العامة التي لا يحل للفرد امتلاكها . وفي هذا يقول الرسول عليه السلام صراحة « من استعملناه على عمل ورزقناه رزقا ، فما أخذ بعد ذلك فهو غلول » (خيانة) . والأخذ طبعاً هنا من الشعب بسلطان الوظيفة ، كما تشير الحادثة التي قيل بشأنها هذا الحديث .

وأريد في هذه الكلمة التي وعدت بها ، أن أسرد بعض الحوادث والأحكام التي بناها الخلفاء على هذا الهدى النبوي الكريم . ولأننا نجد في تاريخ عمر رضى الله عنه مكاناً خصباً للاستشهاد بما يكفيننا ويقتنعنا بأن هذا المبدأ مبدأ إسلامي . ولقد قبض الله للمسلمين عندما اتسعت رقعة بلادهم وفتحوا عليهم الأمصار ومدت لهم الدنيا أذرعتها ، قبض لهم الله عمر صاحب العقلية التشريعية الفريدة التي استطاع بها أن يواجه الحوادث الجديدة بتشريعات حكيمة ، لا تزال للآن موضع فخر التشريع الإسلامى ، ومبعث دهش كبار المشرعين في العالم كله . ولقد وقف عمر رضى الله عنه بين المسلمين وبين الانحدار للدنيا ، فكان من هذه الوقفات المشهودة . ففته لعماله الكثيرين بحاسبهم ويكشف من أحوالهم ما يجعلهم دائماً تحسب .

وبصره ، وبأخذهم بالحزم والعدل حتى يكونوا مثلاً لغيرهم ورسلاً رحمة وإرشاد ، فلا يزهون بسطان الولاية على المسلمين . ولا يستغلونهم ليلأوا خزائهم .

والهدايا دائماً هي الباب الذى ينفذ منه المغرض ليصل الى غرضه عند الحاكم ، وهى اللفظ الخداع الذى يموه به على العقول فتقرب الغاية لصاحبها ، ويتربس الحاكم وراء لفظها الشفاف ، ويتستر ويخدع نفسه ليقبل الجريمة . وهى فى حد ذاتها مباحة ، ولكنها فتمط بين الاحباب والاقارب والاصدقاء ، تمكينا للروابط القديمة ، وتعزيزاً للصدقة ، وتوكيداً للود ، وقد يندب الشرع لها ويحث على تبادله لهذه المعانى الكريمة الفاضلة . أما إذا تجاوزت هذه المعانى وقصد بها تحقيق مأرب خاص فإنها تكون قد خرجت عن المعنى الذى أبيضحت من أجله وتكيفت بتكليف خاص بها ، ودخلت فى باب الرشوة المحرمة . وأعتقد أن من السهل على الانسان فى الغالب التمييز بين هذا وذاك بحسه وفطرته .

ولذلك المعانى الكريمة قَبِلَ الرسول عليه السلام وخلفاؤه بعض الهدايا حتى حدث لعمر رضى الله عنه حادثة حملته على أن ينبه على عماله ويكتب اليهم مشدداً فى وجوب رد الهدايا وفى عدم قبولها من أفراد الشعب : فقد أهدى رجل لعمر رضى الله عنه نفخ جزور ، فقبلها ، ثم ساقته ظروفه الى أن يخاصم رجلاً أمام أمير المؤمنين ، فقال لعمر رضى الله عنه : يا أمير المؤمنين أقض بيننا قضاء فصلاً كما يفصل الرجل من سائر الجزور . وأمير المؤمنين كيس فطن ، فتنبه الى ما يريد الرجل من هذا الكلام ، وعرف منه أنه يريد أن يراعى فى حكمه تلك الهدية التى أهداها اليه قبل ذلك ، والتى أشار اليها إشارة خفية على غير أمير المؤمنين ، فيحكم له مراعيًا دلال المهدى على المهدى اليه ، ويحيد عن الحق تحت تأثير الهدية التى مال بها الرجل عن المعنى الشريف منها . وهنا يحس أمير المؤمنين الخطر الذى يستهدف له الحق والعدل من الهدايا فيصدر حكمه أولاً فى هذه القضية على الرجل صاحب الهدية ، لأنه لم يكن صاحب الحق ، وإلا لما لجأ لتأثير هديته يستجدى من أجلها ، لا من أجل العدالة ، الحكم له . وبعد أن أصدر الحكم كتب الى عماله ونوابه فى الامصار يحذرهم وينبهم ويضع الهدية من أفراد

الشعب الى حكمه موضعها ، ويكشف لهم عما يقصده الناس منها ، ويبين لهم على هذا الأساس حكمها ، فيقول لهم في كتابه : « إياكم والهدايا فإنها من الرشا » ، ولكن كيف يقبل عمر رضى الله عنه الهدية بعد الذى حدث بن الرسول مع العامل الذى قبلها ؟ !

لقد قلت فيما سبق : إن الهدية فى ذاتها مباحة ، بل قد يحث الشرع على تبادلها لتسكين الروابط بين الاصدقاء وذوى القربى ، فلعل قبول عمر لهدية الرجل لصلته له به من الود والصدقة ، وإن كان الرجل قد مال بها عن غرضها الشريف ، وكشف نفسه أمام أمير المؤمنين ، فكان ما كان .

وقد أخذت منا الهدايا وقتا كثيرا ، ولا بأس ، فهى الخطر الناعم الملمس الذى يقضى على الحق والعدل ، وإن كان هناك أبواب أخرى غيرها تمتلئ منها جيوب الحكام .

فلنعرض بعد ذلك الدستور الإسلامى الذى أخذ به عمر عماله على الأمصار ، فاستقام العدل فى الدولة ، وتوفر للفرد البسيط الأمن والاطمئنان . وإذا كان رضى الله عنه قد أخذ نفسه بالزهد والتقشف فإنه كان يؤثر ذلك أيضا فى عماله ، ويختار - فى الغالب - من الأكفاء أكثرهم زهدا وورعا وتقشفا ، ثم لا يدعهم مع ذلك - لما ظهر منهم وعرف عنهم ، بل اتخذ بيته وبينهم دستورا ونظاما ، فكان يحصى أموالهم قبل أن يتسلموا أعمالهم فى ولاياتهم ويعرفها ، ثم يرصد أحوالهم ويعرف ما زاد من ثرواتهم بوساطة مفتش ماليته « محمد بن مسلمة » ، ويشاطرهم هذه الزيادة التى طرأت على ثرواتهم بعد أن تولوا الحكم ، ولعله لم يعتمد الى مصادرة الزيادة كلها أخذا بالأحوط : لما كان يدعيه بعض الولاة بل كاهم من أن الزيادة تنبج عن تشغيل أموالهم ، أو أنها نتاج أفراسهم ومواشيهم ، فكان يقسم الزائد مناصفة بين الوالى وبين بيت المال .

وقد حدث ذلك لكثير من ولاته ، نذكر منهم عمرو بن العاص والى مصر ، والى مصر أيضا عامله على البحرين ، وسعد بن أبى وقاص ، وخالد بن الوليد .

فقد علم أن عمرو بن العاص والى مصر قد تغيرت حاله وثروته بعد أن ولى الحكم ، فأكثر من المتاع والراقي والآنية ، واقتنى كثيرا من الحيوانات ، فلما خوطب فى شأن هذا من أين له ؟ دافع عن نفسه بأن أرض مصر أرض خصبة يحسن فيها الزرع وتنمو بها التجارة ، كما أن هذه الزيادة أثمان خيل نتائج وسهام اجتمعت ، وأنه كان يبق من مخصصاته ما ساعده أيضا على إيجاد هذه الثروة الطارئة ، ومع كل هذه الأعذار لم يسلم عمرو بن العاص من حساب عمر ، فقد أرسل له مفتش ماليته محمد بن مسلمة ، فأحصى أذواله وعرف الزائد عما كان له حين ولى الحكم وقاسمه فيه .

أما أبو هريرة عامله على البحرين فقد اجتمع له مال كثير ادعى أنه تجمع له من نتاج خيله ورجح تجارته . فقال له عمر رضى الله عنه : انظر رأس مالك ورزقك نخذه ، واجعل الباقي فى بيت المال . واشتد على أبي هريرة حتى تحاشا بعد ذلك أن يلى عملا له ، وقال رداً على هذه المبررات التى اتخذوها : إنما بعثناكم ولاية ولم نبعثكم تجارا . ومن رضى الله عنه ببناء يبنى بحجارة وجص فقال : لمن هذا ؟ فذكروا له عاملا على البحرين . فقال : أبت الدراهم إلا أن تخرج أعناقها . . . وشاطره ماله .

كانت هذه سياسة عمر مع جميع عماله لم يغفل منهم أحد مهما كانت سابقته ومهما بلغ بلاؤه وجهاده فى سبيل الإسلام : فساعد بن أبى وقاص ، وعمرو بن العاص وخالد بن الوليد ، وعم قواد الدولة الإسلامية الجديدة ، حاسبهم عمر وشاطرهم أموالهم ، ولم يمتنع لهم أنهم أسسوا للإسلام هذه لامبراطورية الواسعة التى تدفقت منها الأموال على المدينة ، وأقاموا على كوادلهم بناءها الشاخ .

وعمر فى هذا كله يرمى إلى غرض واحد وسياسة حكيمة ، هى أن يحول بين المسلمين ، وفى مقدمتهم الولاة ، وبين الإغراق فى النعيم الذى أقبل عليهم من كل جانب بعد أن كانوا محرومين منه ، وأن يحجزهم من الوقوع فيما خافه الرسول عليهم من بعده ، أن تفتح عليهم الدنيا خزائنها فيتساقطوا إلى الاغتراف منها والوقوع فى محارمها .

ولعل هذا الغرض هو الذى كشف عنه عمر نفسه حين بلغته شكوى أعلام قريش من حجزهم فى المدينة فقال : ألا وإن قريشاً يريدون أن يتخذوا مال الله معونات دون عبادته ، ألا فأما وابن الخطاب حى فلا : إني قائم دون شعب الحرة آخذ بحلّاقيم قريش وُحجزَها أن يتهافتوا فى النار .

وبعد ، فهذا هو مبدأ محاسبة المالك من أين ملك ، أو مبدأ المصادرة كما يطيب لبعض المؤرخين والمشرعين تسميته ، وضع الرسول أساسه : وتوسع فيه ونظمه عمر ، أبو التشريع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، طبقه على الولاية خوفاً على رعيته من الظلم والاستغلال ، وحفظاً لكيان الدولة الإسلامية من الانهيار والانحلال ، فبقيت الدولة حتى آخر عهده سليمة قوية البنيان .

ونستطيع نحن إذا أردنا لأمرنا صلاحاً ، ولدولتنا نهوضاً ، ولأمرناضنا الاجتماعية دواءً ، أن نقبس هذا التشريع الإسلامى لنعالج به أخطر داء نشكو منه ونئن ، ونطبقه على جميع وظائف الدولة صغارهم وكبارهم ، لنقضى على الفوضى التى تسيطر على جميع مرافق الدولة من هذه الناحية ، ونقتل فى النفوس روح الجشع والاستغلال ، ونربي فيها روح العفة والنزاهة والعمل والكد ، أدامَ للواجب ، وإرضاءً لله .

ونستطيع كذلك أن نتوسع فى هذا التشريع بما لا يخرج عن الهدف الذى جعل من أجله ، وهو إشاعة العدل والاطمئنان فى النفوس ، فنجعله تشريعاً عاماً يحاسب فيه الأفراد كالموظفين عن مصدر ثرواتهم ، فنوقف بذلك جشع الأوصياء ونحارب به أولئك الذين يكونون ثرواتهم من طرق لا يقرها دين ولا يرضاها ضمير ، ثم يتطاولون على الشرفاء ، ويقتلون معانى الجد والرجولة والوفاء فى نفوس المجدين الأوفياء .

بهذا نهض ، ونعيدها عمرية فى أمنها ، وطمأنينتها وعدالتها !

فهل من مذكر ؟ . نرجو . . . والله ولى التوفيق .

المصلح الاجتماعى

لفضيلة الأستاذ الشيخ ابراهيم على أبو الحشب
المدرس بكاية الشريعة

قيمة المصلح الاجتماعى فى الامة لا يدرك سمواً خطرهما ، وعظم شأنها ، وضرورة الحاجة اليها ، إلا من يعرف معنى الإصلاح ، ويفهم لزومه للنهوض . وعلى قدر الإحساس بذلك كله يضع المصلح نصب عينه رسالته التى يجب أن يؤديها ، وأهدافه التى يرمى اليها ، فلا ينحرف قيد شعرة ، ولا يميل مثقال حبة من خردل . ولأن هؤلاء الذين يوكل اليهم القيام بهذه المهمة لا يكونون من الرجال المألوفين ، أو الأفراد المعهودين ، بل من أولئك الذين يندر مثالهم ، ويقل - عادة - وجود من على شاكلتهم - كان حسابهم عسيراً ، ومواقفتهم شديدة ، والنظر الى سلوكهم من الاشياء التى يحسب لها ألف حساب . ولا تزال الأجيال المتعاقبة ، والجماعات المختلفة ، فى العصور القديمة والحديثة ، تتعول على الداعية المرشد ، والقائد المزعّم ، بما لا تعول به على غيره من سواد الشعب ، ودعاهم الناس . ذلك لأنه فى نظرها القدوة التى تتبع ، والمثال الذى يحتذى ، والمصباح الذى عنه يكون الإشعاع الهادى ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيى من حى عن بينة . ، والذى عرف عن العرب - مع اجاهليتها الجاهل - أنها كانت تلتقى سفراءها ، وتختار زعماءها ، وتصطفى من تعهد اليهم أمر التحكيم فى الخصومة ، أو الفصل فى النزاع القائم ، بحيث لا يكون فيهم جنف ، ولا يوصفون بفهاة أوعى ، وهم مع ذلك كله أصحاب سيرة حميدة ، وماض مجيد .

وقد رأينا القرآن الكريم يتصدى لذلك فى موضعين اثنين هما فى الواقع أهم ما يتميز به المصلح ، وتقوم عليه دعائمه كقائد يأخذ بيد شعبه إلى الصراط المستقيم : الموضع الأول : ما تسميه الأساليب الجديدة للآزبية « بالقدوة » ويشير إلى هذا فى آيتين « أأمرؤن الناس بالبر وتذسؤن أنفسكم » والآخرى « كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون » . والموضع الثانى يتعلق بالاستعداد الشخصى ونعرفه من خبر موسى عليه السلام إذ أرسله ربه إلى بنى إسرائيل ، فلم ير أن يكون

ذلك دون أن يُعزّزه بمن يتحمل عنه مؤنة البراعة في المنطق، واللد في الخصومة، والإخام في الحجة، وأخى هرون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي ردماً يصدقني إلى أخاف أن يكذبون، ولا شك في أن هاتين صفتان من الصفات التي تقوم في المصلح الاجتماعي مقام النخاع الشوكي للإنسان، وهما وإن كانا ليسا كل شيء إلا أنهما أهم الأشياء التي لا بد من توفرها ولا غنى عن وجودها.

وهما من الصفات التي يكمل إحداها غيرها حتى يتعسر الانفصال، ويتعذر الانفرد، فلا حسن الأسوة وحده يكفي لأن يكون المصلح مطمح الأنظار، ومحل الاعتبار ومناط التقدير، ولا فصاحة المنطق - كذلك - تكون الدعامة التي يقوم عليها الاحترام. وفي كثير من الأحوال نرى الفقر من إحدى تلك الصفتين مزرية معيياً، حتى لينفر الناس من الداعية، وينفضوا من حول المصلح: ثم ينسبون له الفشل، ويصفونه بالإخفاق، ولكن براعة اللسان وفصاحة البيان وقوة الحجة، واستقامة المنطق، أشبه بالسلاح ذي الحدين يستعمله صاحبه في الخير والشر على السواء؛ ولذلك نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن استعمال ذلك في تمويه الحقائق، وقاب الأوضاع، إذ يقول: «إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم»، وفي حديث آخر للرجل الذي يعول على اللحن في حجته دون أن يكون الحق في جانبه ليكسب القضية «فإنما هي قطعة من النار».

وما أظن أساليب الدعوة إلى الإصلاح بلغت في عهد من عهود التاريخ ما بلغت في عصرنا الذي نعيش فيه؛ لأنه إذا كان معول القدماء في الهداية والإرشاد على الخطابة في المنتديات والمحافل، فإننا الآن نكتب في الصحف والمجلات، ونحدث في المديع، ونستخدم الوعاظ في المدن والأرياف، ومع هذا كله نشعر بالنقص الفاضح في سلوكنا الأدبي، أو نشاطنا الاجتماعي؛ ذلك لأننا نحتاج إلى الإيمان العميق الصحيح فيما ندعو إليه. واعلمنا لا نكون مبالغين إذا قلنا إن قادة الفكر، وحملة المشاعل، هم علة العلل في هذا النقص، لأنهم لا يجعلون الدعوة أكثر من «وظيفة» يرزقون منها، وآلة يتكسبون بها، وترى الإيمان بصوابها، والاعتقاد في أحقيتها، وما شابه ذلك كله، حديث خرافة؛ ولهذا فإن العلاج إذا ابتدأ من هذه الناحية يبتدىء من الرأس لا من الأرجل، ويصيب الأهداف الصحيحة... ولكنني أعقد أننا لا نصل إلى ذلك في يوم من الأيام مادنا غير قادرين على مجابهة الحقائق، ومواجهة أصل الأمراض. هدايا الله ووفقنا إلى الصراط السوي، إنه تعالى سميع خبير.

بَابُ الْأَسْئَلَةِ وَالْفُتَاوَى

جاء الى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر الاستفتاء الآتي :

١ — قال الله تعالى في كتابه الكريم : « إن الله وملائكته يصلون على النبي ، كيف صلى الله على نبيه وهو عبد له ؟ »

٢ — قال الله تعالى : « لمن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش » ، ما معنى الاستواء ؟ أرجو الإفادة .

محمد علي قشير



الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ، فتفيد اللجنة :

عن السؤال الأول : بأن أحسن ما قيل في معنى صلاة الله سبحانه وتعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم : أنها الثناء عليه ، وتعظيمه ، والإشادة بذكره . فمعنى قوله تعالى « إن الله وملائكته يصلون على النبي » أنه تعالى وملائكته يثنون عليه ويعظمونه ، ويشيدون بذكره ويكرمونه ، وهذا المعنى لا يتنافى مع عبودية النبي صلى الله عليه وسلم لله عز وجل كما هو واضح .

وأما الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم التي أمر بها المؤمنون في قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » ، فمعناها أن يسألوا الله سبحانه وتعالى دوام الثناء عليه ، وإظهار فضله وشرفه .

أما عن السؤال الثاني : فقد أجاب عنه حضرة صاحب الفضيلة رئيس
لجنة الفتوى حينما كان مفتيا للديار المصرية بجواب تختاره اللجنة ، وها هو ذا نص
السؤال الذى عرض على فضيلته والجواب عنه :

سأل محمد عبد الرازق عوض بالآتى :

ما قول علماء الإسلام وحماة الشريعة المحمدية أدام الله مجدهم وأعلى كلمته بهم
فيمن اعتقد في صفات الله وأفعاله ؛ كاستوائه على عرشه ، وفوقيته ، وغير ذلك
مما ذكر في القرآن أو السنة الصحيحة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
ظاهر الآيات والأحاديث ، وأن تفسيرها هو ظاهرها ، مع اعتقاد التنزيه ونفى
المماثلة والتشبيه للحوادث ؛ هل هو مصيب في اعتقاده هذا ، أو مخطئ ؟ وإذا
كان مصيبا فما حكم من قال له : إن امرأتك طلقت من أجل اعتقادك هذا ؟ .



اطلعنا على هذا السؤال ، ونفيد بأنه متى آمن الإنسان بأن الله سبحانه وتعالى
منزه عن كل ما يوجب نقصا أو حدوثا ، وحمل ما جاء في الآيات الكريمة من
مثل قوله تعالى : الرحمن على العرش استوى ، على ظواهرها ، بمعنى أن المراد بها
ما يليق به سبحانه وتعالى ويناسبه ، مع تنزيهه سبحانه وتعالى عما تستلزمه إذا نسبت
إلى الحوادث من الجسمية والتعجز والمهاسة وغير ذلك - فليس عليه شيء ، بل هو
قد اتبع سبيل السلف الذين يحملون هذه الآيات وما ورد عن النبي صلى الله عليه
وسلم في الأحاديث على ما يليق به سبحانه وتعالى ، مع تنزيهه عن كل ما يوجب
نقصا ، أو يقتضى حدوثا . قال الكمال بن الهمام في المسيرة : الأصل الثاني :
أنه تعالى استوى على العرش مع الحكم بأنه ليس كاستواء الأجسام على الأجسام ،
من التمكن في المهاسة ، والمحاذاة ؛ بل بمعنى يليق به هو سبحانه أعلم به . وحاصله
وجوب الإيمان بأنه استوى على العرش مع نفي التشبيه . فأما كون المراد أنه
استيلاؤه على العرش ، فأمر جائز الإرادة ، إذ لا دليل على إرادته عينا ؛
فالموجب عينا ما ذكرنا . . . إلى أن قال : وعلى نحو ما ذكرنا كل ما ورد

بما ظاهره الحسية في المشاهد ، كالأصبع والقدم واليد . فإن اليد ، وكذا الأصبع وغيره ، صفة له تعالى ، لا بمعنى الجارحة ، بل على وجه يليق به ، وهو سبحانه أعلم به .

وقال الحافظ ابن حجر في شرحه على البخارى ما نصه :

وقال البيهقي : منهم من قال : العين صفة ذات كما تقدم في الوجه ، ومنهم من قال : المراد بالعين الرؤية ، فعلى هذا فقوله « ولتصنع على عيني » أى تكون برأى منى ، وكذا قوله « واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا » : أى برأى منا ، والثنون للتعظيم . ومال إلى ترجيح الأول ، لأنه مذهب السلف . إلى أن قال نقلا عن ابن المنير : ولأهل الكلام في هذه الصفات ، كالعين والوجه واليد ، ثلاثة أقوال : أحدها : أنها صفات ذات أثبتها السمع ولا يهتدى إليها العقل . والثاني : أن العين كناية عن صفة البصر ، واليد كناية عن صفة القدرة ، والوجه كناية عن صفة الوجود . والثالث : إمرارها على ما جاءت مفوضا معناها إلى الله تعالى . ثم قال : وقال الشيخ شهاب الدين السهروردي في كتاب العقيدة له : أخبر الله في كتابه ، وثبت عن رسوله : الاستواء ، والنزول ، والنفس ، واليد ، والعين ، فلا يتصرف فيها بتشبيه ولا تعطيل ، إذ لولا إخبار الله ورسوله ما تجاسر عقل أن يحوم حول ذلك الحمى . قال الطيبي : هذا هو المذهب المعتمد ، وبه يقول السلف الصالح .

وقال غيره : لم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد أصحابه من طريق صحيح التصريح بوجوب تأويل شيء من ذلك ولا المنع من ذلك ، ومن المحال أن يأمر الله نبيه بتبليغ ما أنزل إليه من ربه ، وينزل عليه « اليوم أكملت لكم دينكم » ثم يترك هذا الباب ، فلا يميز ما يجوز نسبته إليه عما لا يجوز ، مع حضه على التبليغ عنه بقوله « ليلغ الشاهد الغائب » حتى نقلوا أفعاله وأقواله وأحواله وصفاته وما فعل بحضرته ، فدل على أنهم اتفقوا على الإيمان بها على الوجه الذى أراده الله منها . ووجب تنزيهه عن مشابهة المخلوقات بقوله تعالى « ليس كشيء من شيء » . فمن أوجب خلاف ذلك بعدهم فقد خالف سبيلهم . وبالله التوفيق . انتهت عبارة الحافظ ، رحمه الله ، والحمد لله .

وأما الاختلاف في كون حمل هذه الآيات وما ثبت وروده عن رسول الله على ما يليق به سبحانه وتعالى ، مع تنزيهه سبحانه وتعالى عن كل نقص ، من قبيل حمل اللفظ على خلاف ظاهره ، أو على ظاهره ، بخلاف لفظي : إذ من قال : إنه على خلاف ظاهره ، نظر إلى أن الظاهر ما هو المعهود في الشاهد . ومن قال : إنه حمل للفظ على ظاهره ، نظر إلى أنه إذا نسب إلى الله ، كان المراد به ما يليق به سبحانه وتعالى ، كالعالم : فإنه إذا نسب إلى الحادث كان الظاهر منه عَرَضاً يقوم بالنفس ينقسم إلى ضروري ونظري : وإذا نسب إلى الله سبحانه وتعالى كان الظاهر منه صفة كمال هي مبدأ الانكشاف لا مماثلة بينها وبين علم الحوادث ، وغير ذلك من الصفات : فكذا يقال في الاستواء والوجه واليد والأصبع والنزول والفوقية وغير ذلك : فإنه يراد بها ما يليق به سبحانه وتعالى ويناسبه مما لا يقتضي نفصاً أو يستلزم حدوثاً .

ومن هذا يتبين أن من اعتقد في صفات الله تعالى وأفعاله كاستوائه على عرشه ظاهر الآيات والأحاديث بالمعنى الذي قلناه ، مع اعتقاد التنزيه ونفي المماثلة والتشبيه للحوادث ، مصيب في اعتقاده . ومن قال : إن امرأته طالق من أجل اعتقاده فهو مخطيء جاهل بمذهب أهل الحق . والله سبحانه وتعالى أعلم .

رئيس لجنة الفتوى

سيد محمد سليم

القائد الحكيم

قال العنبي : جاشت الروم وغزت المسلمين برا وبحرا ، فاستعمل معاوية على الصائفة (هي الغزوة في الصيف) عبد الرحمن بن خالد بن الوليد . فلما كتب له عهده ، قال له : ما أنت صانع بعهدى ؟ قال : أتخذه إماماً لا أعصيه . قال : اردد على عهدي . ثم بعث إلى سفيان بن عوف العامري فكتب له عهده ، ثم قال له : ما أنت صانع بعهدى ؟ قال : أتخذه إماماً أمام الحزم ، فإن خالفه خالفته . فقال معاوية : هذا الذي لا يكفكف عن عجلة (أى لا يُرد) ، ولا يُدفع في ظهره من خور ، على الأمور ضرب الجمل الثقال (أى البطيء الحركة)

من طرائف القرآن الكريم

لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الغنى عوض الراجحي

مبعوث الأزهر لتدريس علوم الدين

بكلية المقاصد الإسلامية

في صيدا - لبنان

الألفاظ أوعية المعاني ، ولكل معنى لفظ يدل عليه ، ويعبر عن طريقه الى الذهن ، والألفاظ بما تحمل من المعاني ثروة بين الجميع على سواء ، لا يعنى لمكلم معنى يريد التعبير عنه إلا وفي ألفاظ اللغة ما يسعفه ويكفي لطلبته .

وقد كان ذلك مدعاة أن لا يفضّل كلام كلاماً ، أن لو كان الأمر على ذلك في الألفاظ المجتمعة كمثلها في الألفاظ المفردة ، لكن لما كان اجتماع الألفاظ مجالا لخصائص وزيادات تحدث في أصول المعاني ، كان تفاضل الكلام بحسب تفاوته في اشتماله على هذه الخصائص والزيادات ، فلا يزال الكلام يترقى بها الى أن يبلغ حد الإعجاز أو ما يقرب منه ، ولا يزال يسفل بفقدائها الى أن يلتحق عند البلغاء بأصوات العجاوات وإن كان صحيح الإعراب .

ولم يقتصر القرآن الكريم في طلاوته وبلوغه حد الإعجاز على أدائه المعاني بعبارات مشتملة على أعلى هذه الوجوه والخصائص المعروفة التي بها يطابق الكلام مقتضى الحال مع فصاحته ، بل إنه أتى في هذا الباب بشيء عجيب طريف لا يتأتى في غيره إلا متابعة له أو اقتباساً منه ؛ ذلك هو تمكين المعنى بوضع الجملة وحسن الكلمة ، وهيئة التراكيب وأجراسها الصوتية ، وفواصل الآيات ومقاطعها ، حتى ليتناسب التعبير مع المعبر عنه ، وتساعد الجمل والكلمات بوضعها وكيفياتها على تصوير المعاني وتحسيمها .

انظر مثلاً الى قوله تعالى في سورة الرحمن « أن لا تطغوا في الميزان ، وأقيموا الوزن بالقسط ، ولا تخسروا الميزان ، . الطغيان في الميزان : الزيادة فيه ، والإخسار له : النقص منه ، وبين الزيادة فيه والنقص منه طريقة وسطى هي إقامته بالقسط . الجملة الأولى نهى عن الطغيان ، والجملة الأخيرة نهى عن الإخسار ، والجملة الوسطى أمر بالقسط : وفي مجيئها وسطى في الوضع مع أمرها بالطريقة الوسطى موافقة الوضع للمعنى ، ومحاذاة في صورة التعبير لصورة المعبر عنه . وقريب منه ما في سورة هود من قول شعيب لقومه « ولا تنقصوا المكيال والميزان ، إني أراكم بخير ، وإني أخاف عليكم عذاب يوم مغيط . ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ، ولا تبخسوا الناس أشياءهم » حيث وقعت جملة الأمر بالقسط في المكيال والميزان وسطى بين جملي النهى عن النقص منه .

وانظر مثلاً آخر : قول الله سبحانه في سورة الشورى « يخلق ما يشاء : يهب لمن يشاء إناثاً ، ويهب لمن يشاء الذكور ، أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً ، ويحمل من يشاء عثمياً ، كيف جاء لفظ الإناث والذكور على التذكير في سائر الألفاظ إلا في موضع واحد وقع فيه تعريف الذكور « بآل » . قد يقال : إنها الفاصلة . نعم ووراء الفاصلة سر آخر : حجر الأساس ، وجيب الزاوية في هذا الوجود ، هم الذكور : الرسالات ، العلم ، الملك ، قيادة القافلة الإنسانية - يدور الأمر في ذلك كله على كاهل الذكور . خلق الله آدم قبل حواء ، الرجال قوامون على النساء ، للذكر في الميراث مثل حظ الأنثيين : لا بدع بعد ذلك أن يكون الذكور أعرف من الإناث ، وأن يكون التعريف في هذا اللفظ خاصة للإشارة الى ما ذكر من متعلقات مدلوله .

وانظر مثلاً آخر : قول الله في سورة الأنعام الآية (٩٩) : « والزيتون والرمان مشتبهاً وغير متشابه ، ، والآية (١٤١) من السورة نفسها : « والزيتون والرمان متشابهاً وغير متشابه ، لم يخرج العبارتين في الآيتين - وهما لمعنى واحد - على ألفاظ واحدة هي ، ولكنه أخرجها على ألفاظ متشابهة كأنها هي . فالألفاظ واحدة إلا ما كان في التركيب الأول من الاشتباه بدل التشابه ، والاشتباه غير التشابه في التلفظ ونظام الحروف ، لكنه عينه في الأصل والمعنى بدليل المقابلة بينهما .

وهذه المغايرة اللفظية أوجدت شبهها بين اللفظين في تركيب واحد ، وشبها آخر بين التركيبين في الآيتين : فكانت الكلمات الدالة على تشابه الزيتون والرمان نفسها متشابهة : فكان ذلك من تصوير التعبير بصورة المعبر عنه ، ومحاذاة في الصورة اللفظية للصورة المعنوية .

وانظر مثلاً آخر : إلى الكلمات الأربع « انا قلتم ، في قوله تعالى في سورة التوبة » يأيتها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله انا قلتم الى الأرض » . و « أنلزمكموها ، في قوله تعالى في سورة هود » قال يا قوم أرأيتم إن كنتم على بيعة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعُسميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون » . و « يصطرخون » في قوله تعالى في سورة فاطر في أهل النار وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل » و « مصيطر » في قوله تعالى في سورة الغاشية » فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمصيطر ، - كيف أن الكلمة الأولى بما فيها من إبدال وإدغام واجتلاب همز الوصل توصلنا للنطق بالساكن وثقلها في النطق ، بعد ذلك كله كانت أبرع وأبدع تصوير لهذا الثقل المراد تصويره ، ثقل البطيء الذي عليه مثل الجبال من الكسل ، فلا يخف لما يؤمر به . هذا التصوير الذي لم يكن ليكون لو كان التعبير على الأصل بقوله « تناقلتم » .

وكيف أن الكلمة الثانية بكثرة حركة الضمة فيها ^(١) وتكرر بعض حروفها ، كانت خير تصوير لما يكون من الثقل على الملزم بشيء هوله كاره : هذا التصوير الذي لم يكن ليكون لو كان التعبير بقوله « أنلزمكم إياها » ^(٢) .

وكيف أن الكلمة الثالثة بغلظ جرسها وقوة منطقتها وحروفها ، كانت خير تصوير لقوة الصراخ المنبعث عن شدة الهول والفرع من أهل جهنم : هذا التصوير الذي لم يكن ليكون لو كان التعبير بقوله تعالى « يصرخون فيها » .

وكيف أن الكلمة الرابعة كسابقتها تصور بقوة جرسها وغلظ حروفها هيمنة المسيطر على المسيطر عليه : هذا التصوير الذي أعان عليه إبدال السين صاداً

(١) الضمة أثقل الحركات .

(٢) ظاهر كلام النحاة أن الفصل والوصل في هذا الضمير جائزان على سواء .

كما أبدلت تاء الافتعال في سابقتها طاءً ، والطاء فيها من القوة والغلظ ما ليس في السين والتاء ..

وانظر مثلاً آخر : قوله سبحانه وتعالى : في سورة النجم « ألكم الذكر وله الأنثى . تلك إذا قسمة ضيزى ، فإن الكلمة الأخيرة في أصلها وحشية عسيرة ثقيلة على اللسان ، لكن بجيئها هذا المجيء جعل لها من الروعة والروث ، ما جعل الرافعى ^(١) يقول فيها ، كانت غرابة اللفظ أشبه الأشياء ملاممة لغرابة هذه القسمة التي أنكرت ، وكانت الجملة كلها كأنها تصور في هيئة النطق بها الإنكار في الأولى والتهكم في الثانية ، وكان هذا التصوير أبلغ البلاغة ، وخاصة في اللفظة العربية التي تمكنت في موضعها من الفاصلة ، ووصفت حالة المتهم في إنكاره من إمالة اليد والرأس بهذين المتدين فيها إلى أسفل وإلى أعلى ، وجمعت إلى ذلك كله غرابة الإنكار بغرابتها اللفظية .

وقريب منه قوله تعالى : في سورة آل عمران « فيها رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضشوا من حولك » ، « فإن النحاة يقولون إن « ما » زائدة أى في الأعراب ، فيظن من لا بصير له أنها كذلك في النظم ، ويقيس عليه ، مع أن في هذه الزيادة لونا من التصوير لو حذف من الكلام لذهب بكثير من حسنه وروعته : فإن المراد بالآية تصوير لين النبي لقومه وأن ذلك رحمة من الله ، فجاء هذا المد في « ما » وضعاً لفظياً يؤكد معنى اللين ويفخمه ، وفوق ذلك فإن لهجة النطق به تشعر بالنعطاف وعناية لا يبتدأ هذا المعنى بأحسن منها في بلاغة السياق ، ثم كان الفصل بين الباء الجارة ومجرورها وهو لفظ « رحمة » مما يلفت النظر إلى تدبر المعنى ، ويذبه الفكر على قيمة الرحمة ، وذلك كله طبيعي في بلاغة الآية كما ترى ^(٢) .

وانظر مثلاً آخر إلى القرآن كله نظرة إجمالية تنفحص فيها مدنيه تارة ومكيه أخرى ، فإنك واجد أن لكل قبيل في أغلب أمره مسحة تغلب عليه وظاهرة تنظمه . فالمدني طويل السور طويل الآيات ، هادئ الأسلوب رقيق العبارات ، لين الفواصل والمقاطع ، وذلك أنسب شيء بما يتضمنه من الأحكام الشرعية والقوانين الفقهية

(١) إعجاز القرآن . (٢) المرجع نفسه .

والمطارحات العلمية، مع أهل الكتاب. والمكى قصير السور، قصير الآيات، غنيب الأسلوب، قوى الفواصل والمقاطع، ألفاظه شديدة الجرس، سجعته قوى صاحب كأنه موج يهدر؛ وذلك أنسب شيء بما تضمنه من النذر القارعة، والزواجر الرادعة، والمواعظ الجامعة، التي يقتضيها حال أهل مكة، أهل العناد والجحود، وقساوة القلب وجفاف الطبع. ومن عجب أن اللفظ يكون واحداً في معنى واحد في قصة واحدة، فيرد في سورة البقرة المدنية على جهة التخفيف، ويرد في سورة طه المسكية على جهة التشديد؛ فيقول تعالى في السورة الأولى قصة آدم «فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون»، ويقول تعالى في السورة الثانية قصة آدم أيضاً «فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى».

وانظر مثلاً آخر: هذه الفواصل (١) القرآنية التي تنوعت فيها، واختلفت فيها الصنيع بين السورة والأخرى، وبين آيات السورة الواحدة. أما السورة الواحدة ذات الفاصلة الواحدة، فإنك تجدتها وفاصلتها بمقطعها وجرسها الصوتي، أنسب شيء بمعناها، وأسرع خطورا بالبال إذا ذكرت السورة، أو ذكر بعض آياتها، حتى لتتأكد في قرارة النفس الحافظة عملية من التداعى والارتباط بين السورة وفواصلها، بل بين سائر الآيات والفواصل فيها. وهذه سورة الناس تقرأها فتكاد تصور لك بجرسها وفاصلتها وتكرر حرف السين فيها، هذه الوسوسة التي سبقت السورة لتصويرها: وسوسة الخناس، الذي يوسوس في صدور الناس، من الجنة والناس (٢)، وهذه سورة القمر تقرأها فتعطيك بجرسها وفواصلها والتزام حرف الراء الساكنة فيها، ما تعطيك بمعانيها من تهديد أهل مكة وإنذارهم وقرع العصا لهم مرات ومرات (٣).

أما السورة الواحدة ذات الفواصل المتنوعة في آياتها، فغالباً ما يكون هذا التنوع عند تنوع المعاني وانتقال الكلام من غرض إلى غرض، ومن طريقة

(١) الفاصلة: كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع.

(٢) راجع كتاب التصوير الفني في القرآن للأديب سيد قطب.

(٣) راجع السور ذات الفاصلة الواحدة كالكوثر والاخلاص والفيل والشمس والقدر والفتح والمرسلات والجن.

إلى أخرى ، كما يرمز بتغير الفاصلة الى تغير ذلك . . فمناك سور بدأت بقسم مقسم به ومقسم عليه ، ولا يخفى ما بين الآخرين من تنوع ، غالبا ماتكون الفاصلة في المقسم به غيرها في المقسم عليه ، لاسيما إذا كان في القسم طول والسورة أيضا طويلة ، كما كان عليه الحال في السور : الذاريات ، الطور ، الصافات ، المرسلات ، النازعات ، العاديات . أما إذا كان في القسم قصر أو كانت السورة قصيرة ، فغالبا ماتكون الفاصلة في المقسم به وعليه واحدة ، كما كان عليه الحال في السور : النجم ، الضحى ، الشمس ، التين ، العصر ، البلد .

وهذه سورة « ص » تستمر فيها الفاصلة على وتيرة متشابهة حتى الآية ٦٧ ، فتتغير فيها الفاصلة إلى وتيرة أخرى حتى ختام السورة ، وفي هذا القدر الأخير يتمحض الحديث عن قصة آدم ، وشيء قليل من التنبيه الى ما في القرآن من حق وعظمة .

وهذه سورة « غافر » ترى فيها الفاصلة على وتيرة واحدة من الآية ٢٤ إلى الآية ٥٥ ، وترى هذه الآيات خاصة بالحديث عن رسالة موسى إلى فرعون وهامان وقارون ، وما أجابوا به وما آل إليه أمرهم ، وما قبل هذه الآيات وما بعدها من السورة غير متخصص لا في موضوعه ولا في فاصلته .

وهذه سورة نوح وإن كانت كلها في قصة نوح . إلا أنها من الآية الخامسة فيها الى نهايتها خلص الكلام للحكاية رفع نوح الامر الى ربه ، يشكو إليه قومه واستكبارهم ، ويستنزل عليهم السخط والغضب ، ويدعوه أن لا يذر على الأرض منهم ديارا ، ولا أضلوا عباده ولم يلدوا إلا فاجرا كفارا ، فكان كله ذا فاصلة واحدة ، فيها قوة وشدة جرس مناسبة لحال غضبه على قومه .

وهذه سورة النازعات من الآية ٥ الى الآية ٢٦ فاصلة تكاد تكون واحدة متميزة عما قبلها وبعدها في نفس السورة ، تتميز الآيات نفسها بتخصيصها للحديث عن موسى وفرعون .

وهناك سور أخرى كثيرة ، فيما ذكرته هنا مثال لها يحتذى ، ومنوال ينسج عليه ، وكفى ؟

نواحي الإعجاز في أخلاق الرسول

— ٣ —

لفضيلة الأستاذ الشيخ أحمد شاهين

سئلت عائشة رضي الله عنها عن أخلاق الرسول فقالت : « كان خلقه القرآن » .
ومن قبلها قالت خديجة أم المؤمنين يوم نزل عليه الوحي أول مرة بحراء فجاءها
وعليه رجفان من الروح وقص عليها حديثه ، ثم قال « لقد خشيت على نفسي »
قالت خديجة « كلا والله لا يخزيك الله أبدا ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ،
وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق » ، وتصدق
الحديث . فأما مقالة خديجة هذه فإنها تدلنا على ثقها الراسخة بزوجها العظيم ،
ورعاية الله له بما أوتي من سمو النفس ، ومكارم الأخلاق ، وطهارة الفطرة . وقد
نوهت في قولها بما تفرد به من دون قومه من خلال : كالإيثار ، والمواساة ، والرفق
بالضعفاء والمساكين ، والسخاء ، بلا رياء ولا سمعة .

هاته وما إليها من الخلال الزكية ، قد فطره الله عليها ، وامتاز بها على أقرانه
منذ نعومة أظفاره واشتهر بها في قومه : لأنها ستكون فيما بعد من أبرز القيم ،
والمبادئ في شريعته الخالدة ، ومن ثم لا يجد الباحث في السيرة النبوية
تناقضا ما بين سلوكه عليه السلام قبل البعثة وسلوكه بعدها ، وهكذا النبيون
جميعاً قد فطرهم الله على خلال الخير ، وكالات النفس قبل أن ينهضوا بالدعوة إليها .

وإن دراستنا حياة الرسول قبل البعثة وتحليلها في ضوء العلم المجرد ، تحملنا على
ترجيح القول بأن عصمة الأنبياء ليست خاصة بما بعد البعثة . كما ذهب إليه العلامة
الرازي ، بل هي عصمة مصاحبة لهم منذ تنسموا نسيم الحياة . بل وقبل أن يخرجوا إلى

الحياة؛ لأن العوامل والظروف المكيفة للشخصية الإنسانية تسبق زمن الميلاد بكثير، وتتسلسل مع السلالات بفعل الوراثة: خياطة الإنسان المختار لأمانة النبوة من عوامل السوء ومؤثرات الفساد، متحققة في السلالة التي ينحدر منها قبل وجوده بمراحل. وهذا هو مغزى الآية الكريمة: «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا»، وقوله «إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين... الخ»، وقد أسلفنا في بحثنا الأول سند هذا الرأي من التاريخ ودليله من العلم. وناهيك بذلك ردّا مخجلا على أمثال الطالب المخدوع الذي لقنه شيخه في الجامعة أن يقول في رسالته (الفن القصصى في القرآن): «الانبياء أبطال ولدوا في البيئة وتادبوا بأدابها، وخالطوا الأهل والعشيرة وقلدوهم في كل ما يقال ويفعل، وآمنوا بما تؤمن به البيئة من عقائد وعوائد، وعبدوا ما تعبدوا من إله الخ».

وأما عائشة أم المؤمنين، أما تلك الصديقة الفقيهة، فقد أوجزت وأعجزت، وصورت الجانب الخلقى من حياة الرسول الأعظم تصويراً محكماً باهراً في كلمة وجيزة. ولن ترى كهاته الكلمة تفسيراً جلياً محكماً لقوله تعالى: «وإنك لعلى خلق عظيم». ولو أن عائشة قالت: كان مثلاً أعلى في السخاء والوفاء، والحياء، والعفة. وأنه بلغ من النبيل أقصاء، وأوفى من الحلم على منتهاه، وأنه بلغ القمة في كيت وكيت من المكارم، وانتهى إلى الغاية في كذا وكذا من الفضائل؛ ثم ذهبت تعدد وتصف، ما بلغت بالإسهاب والإطناب وأسلوب التفصيل والاستيعاب، ما بلغته بهاته الكلمة البليغة الخالدة. ذلك بأن القرآن الكريم وهو الدستور السماوى الجامع قد احتوى من القيم والمثل والمبادئ السامية. وخلال الخير، ما لا يمكن إحصاؤه أو استقراؤه، ولكن قد ظهر على حقيقته وتجلي بأسمى معانيه لعين أم المؤمنين في أخلاق زوجها الكريم.

وهنا تكشف لنا عائشة عن ناحيتين اثنتين رائعتين من نواحي الإعجاز في أخلاق خاتم النبيين: أولاها المطابقة التامة بين أخلاقه وسلوكه، وبين كافة ما جاء به من الآداب والتعاليم الخلقية ومبادئ السلوك الفاضل؛ وهذه المعجزة الخلقية مما يمتاز به النبي على العبقري المصالح؛ إذ عهدنا بكل عبقري صاحب مذهب مشالى أو دعوة إصلاحية أن يؤمن بمذهبه ويخلص.

إلى حد التفاني في سبيله أو الفناء، ولكنه لا يستطيع التزام حدوده في سلوكه الخاص والعام بصفة دائمة وبدون تكلف. وكأى من زعيم سعى في الناس بدعوة حق فلما انتهى إلى غايته من السلطان وأصاب ضالته من المجد، تنكر لها، فكانت وسيلة لا غاية.

وخذ لذلك مثلاً « نابليون بونابرت » فقد انبعث في الآفاق وشعاره مبادئ الثورة الفرنسية الثلاث « الحرية، والإخاء، والمساواة، فلما ساد في قومه وظهر على الممالك من حوله، أثر الاستبداد، ولم يتخرج عن أساليب الظلم والاستعباد. وهذا الفيلسوف الروسي الاشتراكي « ليون تولستوى » فقد تفانى في سبيل دعوته حتى نزل عما ملك من الضياع الشاسعة، والآموال الطائلة، وفرقها فيمن حوله من الفلاحين الفقراء بالتساوى، ثم نزل يعمل في الحقول ليكسب القوت مثلهم بعمل اليدين وعرق الجبين؛ ولكن أثر عن « تولستوى » بعد، أنه كان يتجهم وتأخذه علائم الغيظ السكظيم والثورة المكبوتة حينما يحمل فأسه ويقبل على العمل. ولا ريب أن هذه الظاهرة إنما هي أثر معركة عنيفة في قرارة نفسه بين مبادئه وعواطفه وشهواته.

وهذا ما يشهده عنه صاحب الوحي، لأن مبادئه جزء من ذات نفسه، وصفات فطرية في طبيعته، لا يضيق بها حيناً ولا يتكافأها أبداً. ومن هنا اختلف النبي عن البعري بنقاء صفحته من الهفوات والمآخذ، ومن ثم كان سلوكه أحد مصادر شريعته وأعاليمه.

وثانية النواحي الخلفية : المعجزة التي أظهرتها عائشة رضي الله عنها، هي تمام فضائل الرسول وبلوغه حد الكمال في كل الفضائل. وبهاته المعجزة الباهرة استدل بعض قادة الفكر الإسلامي من السلف على صحة دعوة خاتم النبيين، في تصانيفهم القيمة.

قال الأيجي في المواقف عند الكلام على النبوات : « المسلك الثاني وهو الاستدلال بأحواله قبل النبوة وحال الدعوة وبعد تمامها، وأخلاقه العظيمة، وأحكامه الحكيمة، وإقدامه حيث يحجم الأبطال. ولولا ثقتهم بعصمة الله إياه من الناس لامتنع ذلك عادة، وأنه لم يتلون حاله وقد تلونت به الأحوال من أمور من

تتبعها علم أن كل واحد منها ، وإن كان لا يدل على نبوته ، لكن مجموعها مما لا يحصل إلا للأنبياء ، فلا يرد ما يحكى عن أفاضل الحكماء من الأخلاق العجيبة التي جعلها الناس قدوة لأحوالهم في الدنيا والآخرة ، اهـ .

وقد احتج الشريف الجرجاني على هذا الكمال الخلق المعجز بحجة من التاريخ : فذهب إلى أن خصومه الذين ناصبوه العداء لو وجدوا في خلقه مغمرا لشهروا به وهجروه بالسنة حداد ، لكنهم لم يفعلوا ، بل اتهموه بالسحر والشعر والتعلق بالآلوهام .

قلت : والعلم اليوم يؤيد الأيحي فيما ذهب إليه : لأنه قد بين لنا أن الفضائل والملكات لا تعرض للنفس الانسانية إلا على تفاوت بحيث لا ينبغ للانسان أو يشارف الغاية إلا في فضيلة بعينها أو ملكة وحدها . واستعرض من شئت من أبطال التاريخ ، تجد أنهم إنما برزوا في ناحية ، وتفوقوا في فضيلة واحدة أو فضائل محدودة على تفاوت بينها ، حتى ذهب بعض الباحثين في علم النفس إلى أن نبوغ الإنسان المفرط في ناحية إنما يحىء من نقصه في ناحية أخرى . فإذا صح هذا فهل تكون عظمة محمد التاريخية وكأله الانساني من قبيل العبقريات كما يرى بعض المحدثين ، أو هي من نوع المعجزات كما نعتقد نحن ؟ سوف نرى .

دالة الشعراء

مدح جرير الحجاج بن يوسف بقصائد قال في بعضها :

دعا الحجاج مثل دعاء نوح فأسمع ذا المعارج فاستجابا

فقال له الحجاج : إن الطاقة تعجز عن المكافأة ، ولكنني موفدك على

أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ، فسر إليه بسكتاتي هذا ، فسار إليه ، ثم استأذنه في الإنشاد فأذن له ، فأنشده قصيدة قال منها :

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

فكان الأمير متسكثا فاستوى جالسا ، ثم قال : من مدحنا منكم فليمدحنا بمثل

هذا أو ليسكت ! وأمر له بمائة ناقة كلما سود الخدق ، وبثمانية من الرعام . وكان بين يديه صحاف من الفضة . فقال له جرير : والحلب يا أمير المؤمنين ! وأشار

إلى صفحة منها . فبذها إليه بقضيب كان في يده وقال له مداعبا : خذها لانفعاك

كافحوا الفقر

لفضيلة الأستاذ الشيخ فهم سالم المليجي
المدرس بمعهد القاهرة

لهج الناس حكومة وشعباً بمكافحة الأعداء الثلاثة التي هي « الفقر والجهل والمرض » ، فخداني ذلك على أن أدلى برأيي في هذا الموضوع . ولكنني أرى أن العدو الوحيد والخصم اللدود ، هو شيء واحد ، وهو « الفقر » . فإن الفقير إذا مرض لا يجد دواء ، وإذا أراد التعلم لا يجد ما يكفيه به معلمه . فالعدو الأصلي هو الفقر ، ولو أنهم عالجوا الفقر وحده لكفاهم الخصمين الآخرين ، فإن الفاقة أعدى أعداء الإنسانية ، وهي التي تبطش بالآساد فتذلها ، وتسطو على الكمي فتبدل شجاعته جبناً ، وعزته ذلاً ، وصلابته ليناً ، وتصير الخلق الكريم ذمياً ، وتبعث من العبد ظليماً ، ومن الإحسان جرمياً . فليت النفوس توجه إلى علاج الفقر : فإن ذلك أبقى على الإنسانية ، وأنفع للمجتمع .

وعلم الله ذلك قبل علمنا فشرع في دينه علاجاً لو اتخذناه نبراساً لاهتدبنا إلى الصراط السوي المستقيم : ذلك العلاج « هو مشروع الزكاة » ، فلو أخرج الناس الفضل من مالهم وزرعهم ما تضاغى أحد جوعاً ، ولوجد الفقير بغيته ، والمسكين حاجته ، وفتحت لهم في الحياة سبل قيمة ، واطمأنت نفوسهم . وليت الحكومات ترحم الشعب فتجبي الزكاة من أغنيائه وتوزعها على فقرائه بالقسطاس المستقيم : فتعطى كل فقير حاجته تربط بين قلوب الأغنياء والفقراء برباط متين هو رباط الإحسان والرأفة والرحمة ، فليس شيء أحب إلى القلوب من الإحسان : يغرس الحب في شغافها ويستعبد لها ، وهو نوع من التعاون على البر والتقوى الذي أمرنا الله به ، فقال « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » .

فإخراج الزكاة إحسان إلى الأغنياء ، والفقراء . أما الغني فإنه يحصن ماله بإخراجها ، ويظهر قلبه ، ويركي نفسه ، وينجو من عذاب أليم « خذ من أموالهم

صدقة تطهرهم وتزكهم بها ، وهى ركن من أركان الإسلام يقوم عليه ، ويتم به فمن أدى الزكاة فقد قوم دينه ، وكمل إسلامه .

ولقد توعد الله مازنى الزكاة بقوله : « وويل للشركين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون » . فإذا أخذت الزكاة من الأغنياء صلح حالهم ، واستفادت أمورهم ، ونمى مالهم وزرعهم ، واستمر يسارهم ، ووقاد الله شر الآفات ، فما هلك مال فى بر ولا بحر إلا بسبب منع الزكاة . فالزكاة شكر لله على ما أعطى من النعم وأخرج من الأرض . يقول الله تعالى : « أفرايتم ما تحرثون أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون . لو نشاء لجعلناه حطاما فظلمت تفكمهمون إنا لمغرمون بل نحن محرومون » وشكر النعمة يؤذن بازديادها ، كما أن كفر النعمة يؤذن بزوالها ، وإذا فرض الله الزكاة سن أقوم السبل فى سعادة الأمة ، وازدهارها ، ويمكن لها دينها الذى ارتضى لها ، وبذل ذلها عزاً ، وخوفها أمناً ، وشقاءها سعادة .

أيها المشرعون !

خذوا بسبيل الزكاة تفلحوا ، فإنه سبيل الاعتدال : طهر من رجس المذاهب المتطرفة ، وبرىء من جشع الرأسمالية ، وخلص من إفراطها ، شرج من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين . النشريع الإسلامى يفتح أبواب الرجاء للفقراء . ويضىء السبيل للأغنياء . فقد يصبح الفقير من خيرة الأثرياء سنة الله التى قد خلقت فى عباده ، ولن تجد لسنة الله تحويلا .

فإلى ملوك الأمم ورؤسائها ، وإلى الشعوب وقوادها ، أوجه مشروع الزكاة : ففيه سعادتها وبمقاوها ، وعزها وثراؤها ، يرتفع من فى السماء . إنكم مسئولون عن هذا الشعب بين يدى الله . ارحموا دين الإسلام فإن الشيوعية معناها (اللادينية) . ارفعوا هذا الكابوس عن البلاد والعباد ، تنجوا وأممكم من عذاب أليم . استغنوا عن المصالح التجارية . انقضوا ما بينكم وبينهم من العهود فذلك أجدى على الأمة من فوائد تجنيها ، ولذات تجتليها . « ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون » .

ونسأل الله التوفيق للأمة الإسلامية والحكومة المصرية حتى تتخذ سبيل الله ودينه نبراسا مضيئا فى ظلمات الحياة ، فهو نعم المولى ونعم النصير ، وهو المستعان فى . ض .

نظام للزكاة أستخلصه من روح الشريعة الاسلامية ، وأقدمه للحكومة المصرية رجاء أن يوفقها الله إلى الأخذ به ، والسير على منهاجه . فأقول وبالله التوفيق :

الباب الأول في كيفية إخراج الزكاة :

المادة الأولى : شرط الزكاة : الاسلام ، ملك النصاب ملكاً تاماً ، والحرية ، ومضى الحول في العين والماشية ، والخلو من الدين في العين ، واستواء الزرع .

المادة الثانية : تجبي الزكاة من الأغنياء جبراً عليهم وتصرف للفقراء .

المادة الثالثة : تؤخذ الزكاة وهي ربع العشر أي $\frac{2.5}{100}$ ممن يملك نصيباً من الذهب وقدره أحد عشر جنيهاً مصرياً وسبعة أثمان الجنيه المصري وهو (اثنا عشر جنيهاً إنجليزياً وثمان) أي (١١٨٧٥ قرش) ألف ومائة وسبعة وثمانون قرشاً ونصف قرش ، إذا حال عليها الحول في حيازته ، ولا دين عليه .

المادة الرابعة : يؤخذ ممن يملك نصيباً من الفضة وقدره (مائتي درهم) ربع العشر $\frac{2.5}{100}$. وهي تساوي بالقروش المصرية (٥٢٩٢ قرش) بالشروط المقدمة .

المادة الخامسة : يلاحظ أن وثائق الذهب كالذهب ، ووثائق الفضة كالفضة ، يسرى الحكم عليها كالأوراق المالية .

المادة السادسة : تعتبر قيمة الذهب في غيرها من العملة الجارية كالقروش المعدنية أو النحاسية ، رعاية لحق الفقير .

المادة السابعة : تقوم عروض التجارة على التاجر بالثمن الحاضر عند الحول وتخرج الزكاة منها أو أثمانها بحسب الثمن الحاضر .

المادة الثامنة : تشمل عروض التجارة : الحيوان ، والطعام ولو لم يترك كالفاكهة والأسلحة والمعادن وكل ما يتجر به .

المادة التاسعة : يضم ربح التجارة على التاجر من أصل المال ، وحوله حول أصله .

المادة العاشرة : إذا كان على المالك دين ينقص المال به عن مائتي درهم من الفضة أو عشرين ديناراً من الذهب ، سقطت عنه الزكاة .

المادة الحادية عشر : إذا وجد أحد ركازا من دفين الجاهلية ذهبا أو فضة عملة أو غيرها ففيه الخمس ويصرف في المصالح :

١ — العامة (إذا احتاج استخراج الركاز إلى نفقة كثيرة كان فيه ربع العشر وهو كالزكاة مصرفا) .

٢ — (إذا لم يعلم أنه من دفين الجاهلية ألحق به) .

٣ — (إذا علم أنه من دفين المسلمين فيه ربع العشر ورد الباقي إلى مالكه أو وارثه إن علم) .

٤ — (وإن لم يعلم مالكه فهو كاللقطة يعرف عاما ثم يكون لواجده) .
المادة الثانية عشرة : إذا حاز الرجل حليا أو سبائك من الذهب أو الفضة أعدها لعاقبة الدهر، يؤخذ منها الزكاة بالشروط السابقة، إلا السن والآنف ومقبض السيف وحلية المصحف .

المادة الثالثة عشرة : إذا حازت المرأة سبائك من الذهب أو الفضة بلغت نصابا، أخرج عنها الزكاة . أما حلى المرأة للزينة لا زكاة فيه (عند مالك) .
المادة الرابعة عشرة : تؤخذ الزكاة من مال الصبي إذا أحرز النصاب ومضى عليه الحول ويطالب بها وليه .

المادة الخامسة عشرة : تؤخذ الزكاة من مال المجنون والسفيه بالشروط السابقة ويدفعها القيم عليه .

المادة السادسة عشرة : ما استخرج من مناجم الذهب والفضة يؤخذ منه ربع العشر في الحال إن وجد بملكه أو بأرض ليست بملوكة وكان مسلما، وإلا قدر بالاجتهاد .

المادة السابعة عشرة : مناجم النحاس والمعادن التي تطبع بالنار، فيها الخمس، ومصرفها مصرف الغنيمة والباقي للاستخراج إن كان بأرضه أو أرض غير مملوكة . فإن أعدت للتجارة كانت كمعروض التجارة .

المادة الثامنة عشرة : لا يصح استثناء مسلم من إخراج الزكاة مهما عظم : لأنه قانون شرعي .

المادة التاسعة عشرة : ومن ملك آنية من فضة أو ذهب سواء كان ذكرا أو أنثى أخرج زكاتها متى بلغت نصابا، والعبرة بالميزان .
• يتبع •

من أسرار القرآن الكريم

لفضيلة الاستاذ الشيخ أحمد الشرباصى

المدرس بمعهد القاهرة

القرآن الكريم، والذكر الحكيم، والكتاب المبين، والنور الهادى إلى صراط العزيز الحميد؛ هو هدية السماء إلى الأرض، ومائدة نزلت من الملأ الأعلى لتغذية العقول والقلوب والأرواح، وشرعة العلم الحكيم للعباد فى كل زمان ومكان، ودستور أحكت آياته فلا يأتىه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وسبيل لا تزيع به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ونبراس يهذى إلى الرشده، ويفضى إلى الحق والخير والبر، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هُدى إلى صراط مستقيم.

وكتاب إلهى ربانى هذه بعض صفاته، وتلك طائفة من سماته، لا بد أن يكون له من الأسرار ما لا يتناهى، ومن العجائب واللطائف ما لا يحصى، ومن الحكم والرموز ما لا يستقصى؛ وأى عبد عاجز يستطيع أن يحصى أسرار خالق بعض صفاته أنه الأول والآخِر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم؛ ويقال فى شأن كلماته: «قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى، ولو جئنا بمثله مدداً»؛ ويقال فيها: «ولو أن مافى الأرض من شجرة أقلام، والبحر بمده من بعده سبعة أبحر، ما نفدت كلمات الله، إن الله عزيز حكيم». ولكننا إذا عجزنا عن الإحصاء والاستقصاء فلا أقل من أن نسعد قلوبنا، ونسأى بنفوسنا، ونعلو بأرواحنا، ونجلب الخير كل الخير لديننا ودنيانا، بأن نحاول الوصول إلى ما يدخل فى نطاق الطاقة البشرية من أسرار هذا الكتاب اللدنى القدسى الذى تحيا به الأجسام والأفهام، وتستضىء بنوره الخواطر والنواظر، ويخر من هيبتة وخشيته العباد والجماد؛ ولو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيناه خاشعاً متصدعاً من خشية الله، وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون..

« ولو أن قرآننا سُيِّرَ به الجبال أو قُطِّعَتْ به الأرض أو كُلمَ به الموتى » .
قال بعض المفسرين : إن الجواب هو : لكان هذا القرآن .

أول أسرار هذا الكتاب المجيد وأعظمها ، وأشدّها في النفوس تأثيراً ،
وعلى القلوب سيطرة ، أنه كتاب عربي مبين ، لا تعاوِذ فيه ولا تمائم ، ولم
يتكوّن من ألغاز ورموز خفية ، بل تكوّن من نفس الحروف التي بها يتكلمون ،
ومن نفس الألفاظ التي يرددون ، والذين أنزل عليهم هذا الكتاب هم فرسان
البلاغة وأساطين الكلام ، ودهاقين القول وأمرأه البيان ، يقرءونه أو يسمعون
فتتجذب إليه نفوسهم ، وتحقق له أفئدتهم ، وترتجف من وقعه أبدانهم ، والكثير
منهم لم يؤمن به بعد ، وينظرون إلى أجزائه فإذا هي سهلة ميسورة ، وإلى معانيه
فإذا هي ساطعة سطوع شمس الضاحية ، ويخيل إليهم من شدة ضيائها وانتشار
أنوارها واحتشاد أشعتها ، أنها على مدى اليد منهم ، يستطيعونها إذ يحاولونها ،
ولكنهم يفرغون جهدهم ، ويستقصون وسائلهم ، ويجمعون جموعهم ، يرومون
إليها وصولاً فلا يستطيعون ، ويطلبون منها دنواً فلا يقدرون :

هي الشمس مسكنها في السماء فعزى القواد عزاءً جميلاً

فلن تستطيع إليها الصعود ولن تستطيع اليك النزول !!

وهكذا صدقت كلمة الله : « قل إن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل
هذا القرآن لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً » . . . بل لا يستطيعون
ما دون ذلك : « أم يقولون افتراه ، قل فأتوا بعشر سور مثله مفريات ، وادعوا
من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين . . . بل لا يستطيعون أقل صور
المعارضة : « وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ، وادعوا
شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين » .

ومن أسرار القرآن الكريم أنه يستعمل الكلمة الجامعة الخافية لكثير
من المعاني ، الصالحة لعدد من التفسيرات ، مما لا يناقض بعضه بعضاً ، بل بما
ترتضيه العقول وتطمئن به القلوب ، وتصلح به أحوال الذين أنزل إليهم في مختلف
العصور والدهور ، والبيئات والمجتمعات ، وأنت حين تتابع هذا الطريق ،
وتستحضر في نفسك طائفة من هذه الكلمات الجامعة الشاملة المحيطة التي تفتح

أمام قارئها أو سامعها آفاقاً عريضة وسبعة ، ستعجب عجباً لا ينتهى . وتستطيع أن تأخذ على سبيل المثال كلمات : « العصر ، والصلاة الوسطى ، والكوثر ، والنازعات ومن شر غاسق إذا وقب » لتعرف حين تدرس معانيها كيف يفسح أمامك المجال ، وتتدفق بين يديك مناهل العلم وينابيع المعرفة ، مما يسهل الشديد ، ويسر العسير ، ويكثر السبيل !! .

ومن أسرار القرآن الكريم الإيجاز ، وحذف ما ليس برئيسى ضرورى فى الموضوع ، والاكتفاء بـ «روس الحوادث وأمهات العبارات ، ولست أدري ماذا كان يكون حجم المصحف الشريف لو أن الحق تبارك وتعالى اتبع فيه سبيل الإتيان بالمألوف والمعروف ، إذن لكان المصحف المجيد فى عشرات من كبار المجلدات والأسفار ، وإذن لشق على الأمة حفظه والإحاطة به وجمع أطرافه فى صدورهم ؛ ولكن الله وهو الذى لا يكلف نفساً إلا وسعها ، منح الأمة هذا الدستور فى هذا القدر الوجيز ، ومع ذلك لم يدع كبيرة ولا صغيرة إلا أحصاها ، وصدق الحق إذ يقول : « ما فرطنا فى الكتاب من شيء » . ولك أن تأخذ هنا على سبيل المثال قوله تعالى : « وقال الذى نجا منها وادكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون ، يوسف أيها الصديق ... » فبين كلمتى : « فأرسلون ، ويوسف ، كلام طويل مقدر ، تفهمه العقول اللبيرة والقلوب الواعية ، ولذلك ستر ولم يذكر . وأن تأخذ أيضاً قوله تعالى : « فقل هل لك إلى أن تزكى ، وأهديك إلى ربك فتخشى ، فأراه الآية الكبرى ، فبين كلمتى : « فتخشى » ، و « فأراه » ، كلام كثير لا يلزم ذكره . وإن كانت النفس تلمحه ، إذ الأصل : « فقل هل لك إلى أن تزكى ، وأهديك إلى ربك فتخشى فذهب موسى ، ومعه أخوه هارون ، وقالا لفرعون قولاً ليناً ، ودعواه إلى عبادة الله ، فاستنكر فرعون واستكبر ، وطالب بالدليل والبرهان ، أو لج فى العناد والجدال ، فأراد موسى أن يقنعه عن طريق المعجزة ، فأراه الآية الكبرى ، وهى انقلاب العصا إلى حية تسمى ، !! .

ومن أسرار القرآن الكريم أن الله عز وجل لم يجعله أبواباً مستقلة ، ولم يفصل بين أجزائه بفواصل مملّة ، بل جعله مثانى تقشعر منه جلود الذين آمنوا ، وصاغه كالحلقة المفرغة لا يدري أين طرفاها . ولعل بعض الغافلين يعجب حين

يرى الأسلوب القرآني في السورة الواحدة وهو يتنقل من العبادات الى المعاملات الى الاخلاق الى العقائد الى القصص ، وهكذا ، ويخيل له أن ذلك لا يلائم كمال التقسيم - تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا - ولكن الواقع أن الله سبحانه وتعالى بذلك الأسلوب قد أراد أن يلفت المسلمين الى أن القرآن كل لا يتجزأ ، وأحكامه مجموعة لا يتبعص ، وأوله كآخره ، وأدناه كأقصاه ، ومن أراد أن يأخذ منه شيئا فليأخذه كله ، فكاه ذواء وشفاء ، وكله نور وضياء . . . وهذا بطبيعة الحال سيجعل المسلمين يعنون بسائر أجزاء القرآن حينما يطلبون منه جزءا خاصا ، لأنهم لا بد لهم من المرور بسائر الأجزاء لكي يصلوا الى ما يريدون . . .

ومن أسرار القرآن الكريم : أنه يعرض قصص الأنبياء والمرسلين في صور مختلفة ، وبأساليب متعددة ، فتارة يعرضها مختصرة موجزة ، وتارة يعرضها في مساواة وتوسط ، وتارة يسهب في مواقفها ووقائعها ويفيض . وقد أراد القرآن من ذلك الوصول الى الغاية في التذكير والتبصير ، والتبشير والتجذير ، والوعيد ؛ وأراد أيضا أن يجد كل طائفة ما يناسبها ، وأن يجد الداعية لكل ظرف ما يلائمه ، ولو وقف المرشد مثلا بين قوم أميين خالين ، أو ظلمة جبارين ، أو عامين جاهلين ، وأراد أن يقص عليه قصة موسى عليه السلام مثلا ، لكان واجبا عليه أن يأتي من القصة الطويلة العريضة بما ورد في الاعراف ، وطه ، والقصص ، وأشباهاها ؛ ولكنه حين يتكلم مع قوم مثقفين متعلمين ، يستكفيه القصة موجزة مختصرة مركزة في مثل قول الحق عز من قائل : « وهل أتاك حديث موسى ، إذ ناداه ربه بالوادي المقدس طوى ، اذهب الى فرعون إنه طغى فقل هل لك الى أن تزكى ، وأهديك الى ربك فتخشى ، فأراه الآية الكبرى ، فكذب وعصى ، ثم أدبر يسعى ، فخسر فنادى ، فقال أنا ربكم الاعلى ، فأخذه الله نكال الآخرة والاولى ، إن في ذلك لعبرة لمن يخشى » ومن هنا تعرف السر في تكرير القرآن الكريم لعرض القصص النبوية في صور مختلفة .

وأخيراً إن أسرار القرآن كما قلتم فيض لا يغيض ، ومدد لا ينتهي ، وسبيل لا تدرك غايتها ، وقد ذكرت لك منها ما يصلح أساسا للسير ، أو مفتاحا للباب ، والله نفحات يتعرض لها المخلصون فيصلون منها الى ما يشاؤه الحق لهم كفاء إخلاصهم ، فألق دلوكم في الدلاء ، ولا تنسني من صالح الدعاء . . .

من أقباس النبوة :

ياجارة الغار...!!

لفضيلة الأستاذ كامل محمد عجلان

المدرس بمعهد القاهرة

[روت بعض السّير قصة الحمامة في الهجرة . ومنطق الإعجاز
لا ترتفع إليه العقول . وفي الإيمان به ما يطمئن القلوب ...
وتلك انتفاضة العاطفة في موكب الذكرى الباقية] :

ياجارة الغار :

أسعدني بالهديل فهذا موكب الذكرى ... وطربني عنى فإن اليراعة غرقى
في خضم النور ، وشراعى عصفت به معجزات بكل الطرف فى إشراقها ، ويرتد
القلب مثقلا بالحنين ، والشوق .

ياجارة الغار :

بى شوق الى أغرودة مستكوبة من شرفات الخلود ، يرتحنى سحرها الموقع على
أوتار واهن من فرط الصبوات ...
إنى ظامئ إلى رنين مقبوس من حفيف أجنحة الملائكة ، ووسوسات
حلى الحور .

ياجارة الغار :

صمتك الوادع ، وأمنك الهاجع ، واطمئنانك الغافى ، وعشك الممهد ، والطلحة
الحانية بأكف ضارعة : والصحراء ... الصحراء من ورائك ، والغار من أمامك ،
وعين الله يمتلئ ... إنها ترعى ... وكفى ...

كل هذا (يا حمامة) يحمانى على قوادم الأحلام ، وخوافى الإعجاب ...

ياجارة الغار :

بالله إلاّ حدثتنى عن ترفيف الملائكة وكيف حفّت بالغار ... ؟ وإلا
كشفت عن ريشك المنسوج بأنامل القدرة التى طيرتك إلى وكر النبوة ، تبين عشا ،
وتهدمين مكرا ، وتهزئين بالقافلة المغتالة الضالة ، وتعصفين بالزوبعة الفتاكة ...

فاذا الذى يشوى الحقد كبده يسلم ساقيه لرمال الصحراء ، وينكفيء ناكصا على عقبيه ، تاركا جوارك الآنس ... يا حمامة .

يا جارة الغار :

كيف سمعت النبى وهو يقول لصاحبه : لا تحزن إن الله معنا ... وبماذا أجبته العطشى الى الدم البرىء وقد حيل بينهم وبين ما يشتهون ... ؟

وكيف التف حولك الجمع ؟ ثم دارت أقدامهم على باب الغار . ولو أراد الله لجعل من خيوط العنكبوت لهم أغلالا فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون .

يا جارة الغار :

بماذا ناجيت الليل ، وأى تحية تنفست بها الصباح ؟ وهل شجاك سكون الدجا ، وشغلتك كدّارى السماء ؟ أم غفوت فى لجج الأحلام التى ترقصك على أعواد الجنة الموعودة .

يا جارة الغار :

كنت « حمامة السلام » ، وما نطقك حرفا ، ولا خططت عهدا ، ولا صدعت برأى ، ولا افتر ثغرك عن بسمة ، ولمكنك أغمدت سيوفاً مشرعة ، وحقنت دما لو سالت منه قطرة لانفطرت الأرض وخرت الجبال هدا .

يا جارة الغار :

بين (مكة والمدينة) رفعتك القدرة معلما يفرق بين النار والنور ، وبين الباطل والحق ، وبين الضلال والهدى ، وعلى مد جناحيك لثمان كان الله ثالثهما .

وبذلك لقيت أكرم منزل ، وهبت عليك نفحات الجنات ، على حين يرى الجاهلون جوارك حفرة مهجورة : تعالى (الغار) عما يصفون ا .

يا جارة الغار :

شاهدت مصرع الباطل ، وشهدت انتصار الحق ، وسبرت ضخوة الطغيان وتزاييل سرا به ... وضربت للناس الأمثال ... وما يخذعون إلا أنفسهم وما يشعرون .

يا جارة الغار :

فى جوارك ولد الإسلام ، وفى ظل مدرجك كتبت صفحة سطرتم رعاية الله . وتمت نعمة أنعمها على عباده الذين ورثوا الأرض ، ونعم أجر الجاهدين .

العدالة في الاسلام

من عدالة أمير المؤمنين أبي عبد الله المهدي

لفضيلة الأستاذ الشيخ أحمد علي منصور

من علماء الأزهر الشريف

هو أبو عبد الله المهدي محمد بن أبي جعفر المنصور ؛ ولد سنة ست وعشرين ومائة ، ورباه المنصور تربية حسنة ؛ ولما شب وتأدب ، وجالس العلماء ، وبلغ مبلغ الكمال ، روضه والده على الخلافة ، فأتمره على طيرستان وما والاها ، فباشر أعمالها بحزم برهن على أهليته ، وعزم نطق بإجدارته . ولما أحس أبوه بدنو أجله أوصى المهدي عند وداعه وصية من لا يؤمل اللقاء ؛ وكأنه بذلك كان ينعتي نفسه ، فلم يدع في وصيته شيئاً من الخير يمكن الإحاطة به إلا تقدم إليه فيه ، وزوده بأمر جملة بها ، واستخلف الله عليه ؛ ثم عهد إليه بعد ذلك بالخلافة ، فكان العهد إليه عن خبرة ، وحقيقة نظر في مصالح الأمة . وكأن أبا جعفر بترويضه المهدي وولى عهده على أمور الخلافة وأعمالها ، كان ينظر لمصالح هذه الأمة في مماته نظره لها في حياته ، مما سيدكر له بكل ثناء وتقدير حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

تولى أبو عبد الله المهدي الخلافة سنة ثمان وخمسين ومائة ، بعهد من أبيه المنصور بعد موته بيئر ميمون ؛ فاستأنس بوصية والده ، بعد أن دربه على الخلافة ، وجعله خليفاً بالإمارة بما ولاه قبلها من الأعمال .

ولقد كان أمير المؤمنين المهدي عادلاً منصفاً ، تقياً زاهداً ، سياسياً حازماً ، جواداً ممدوحاً ، محبباً إلى الرعية ، حسن الاعتقاد ، مثلاً للسباحة ، وقُدوة في مكارم الأخلاق ، وكان عصره عصر خير وبركة على الإسلام والمسلمين .

وحسبنا أن نذكر في هذا المقام شيئا من عدالته وإنصافه ؛ وأما ما حباه الله به من الصفات الحميدة الأخرى ، فقد تعطرت بأريجها كتب التراجم ، وزينت بها صفحات أسفار التاريخ .

لما حمل البريد إلى المهدي نبأ وفاة والده أبي جعفر بيتر ميمون ، ووصيته له بالخلافة ، كان وقتذاك ببغداد ، فخطب الناس وقال : إن أمير المؤمنين عبد دُعي فأجاب ، وأمر فأطاع -- وهنا اغرورقت عيناه بالدموع -- ثم قال : قد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند فراق الأحبة ؛ ولقد فارقت عظيمي ، وقلدت جسيما : فعند الله أحسب أمير المؤمنين ، وأستعين به على خلافة المسلمين .

أيها الناس : أسروا مثل ما تعلنون من طاعتنا نهبكم العافية ، واخفضوا جناح الطاعة لمن نشر معدلته فيكم ، وطوى الإصر عنكم ، وأهال السلامة عليكم ، من حيث رآه الله مقدما ذلك . والله لأفنين عمرى بين عقوبتكم ، والإحسان عليكم !!

ما أجمل البر بالوالدين !! وما أعظم الإحسان إليهما !! لقد جمعت أول خطبة لأمير المؤمنين المهدي شيئا كثيرا من التنويه بالعدل والإنصاف ، وبالمنافع والمقاصد الخيرية . فاستهلها بإظهار تأثيره بالفجيعة ، وأبان أن ضلاله ضلال حنو وانعطاف ، وأن سلطان الخلافة لم ينسه حق الأبوة .

ونقَّب المهدي عن أحسن ما توصف به الرعية ، وطلب تحقيقه ، فقال : « أسروا مثل ما تعلنون من طاعتنا نهبكم العافية : لأن الأمة أقبح ما تكون وفي صدرها دخل ، سواء أكانت تسره للأفراد أم لأولياء أمورها والقائمين بشؤونها . ثم طلب منهم خفض الجناح ، وقرنه إلى نشر العدالة فيهم ، وطى الإصر عنهم . وما أجل ذلك في معاني الحكم بالعدل ، والمملك بالحق ورفع لواء الإنصاف !! ولقد روى العلامة ابن سابق قال :

ركب المهدي ذات يوم ، وسار في موكب يطوف أهم شوارع بغداد ، وبينما هو على هذه الحال ، صاح به رجل من أفراد الرعية ، وقال :

قل للخليفة : حاتم لك خائن تخف الإله وأعفنا من حاتم
إن الدفيق إذا استعان بخائن كان العفيف شريكه في المأثم

فاهتم أمير المؤمنين بهذا الأمر ، وأمر أن يؤتى إليه بكل عامل يسمى حاتما ،
وأدخلوا عليه واحداً واحداً ، بعد أن استوقفهم ، وشرع يناقش كلا منهم على
انفراد ، حتى انتهى الى صاحب الخيانة ، وعرف له ، فتقاضاه وأنصف المظلومين
منه : ثم أمر بعزله وحجبه جزاء خيائته .

ولقد بلغ من عدالة أمير المؤمنين أبي عبد الله المهدي أنه جعل له أياما
مخصصة ، يجلس فيها لوضع العدل في نصابه ، وإنصاف المظلوم من الظالم .
وكان إذا جلس هذه المجالس يقول : « أدخلوا على القضاة : فلو لم يكن ردى
للبطالم إلا للحياء منهم لكفى . ! ! »

ولقد رأى القضاة العدل مجسما في أمير المؤمنين ، فذهبوا مذهبه ، ولم يحيدوا
عن الإنصاف قيد شعرة : لأن الناس على دين ملوكهم ، حتى لقد أنصفوا أفراد
الرعية من أولياء العهد ، والمرشحين للخلافة .

قال العتبي : تنازع إبراهيم بن المهدي ، وابن بختيشوع الطبيب بين يدي أحمد
ابن أبي دؤاد ^(١) ، في عقار بناحية السواد ^(٢) : فأربري ^(٣) عليه إبراهيم ، وأغلظ له ،
فأحفظ ^(٤) ذلك ابن أبي دؤاد فقال :

« يا إبراهيم : إذا نازعت في مجلس الحكم امراً ، فلا أعلن أنك رفعت عليه

(١) أحمد بن أبي دؤاد قاض من قضاة العباسيين ، وكان غزير الأدب ، جم المروءة ، بذولا
للمعروف ، معوانا للملوف . وكان مؤالفا لأهل الأدب من أي بلد كانوا ؛ وكان قد ضم منهم جماعة
يعملهم ويعونهم . فلما مات حضروا بياحه ، ولما طلع مريره تقدموا إليه وأبشروه بأبلغ العبارات التي
حوتها كتب الأدب . ومنازة ابن أبي دؤاد من المعتصم والواثق مكية ، بحيث كان يزاحم الوزراء
وربما تقدم عليهم — توفي سنة ٣٤٠ هـ .

(٢) سواد المدينة : قراها .

(٣) أربري عليه : زاد عليه .

(٤) أحفظه : أغضبه ؛ والحفيظة : الحمية والغضب .

صوتا ، ولا أشرت بيد . وليكن قصدك أتمماً ^(١) وريحك ساكنة ، وكلامك معتدلاً . ووف بمجالس الخليفة حقوقها من التعظيم والتوقير ، والاستكانة والتوجه الى الواجب ؛ فإن ذلك أشبه بك ، وأشكل بمذهبك في محبتك ^(٢) وعظيم خطرك . ولا تعجلن فسر عجلة تهب ريثاً ^(٣) والله يعصمك من خطل القول والعمل ، ويتم نعمته عليك كما أتمها على أبويك من قبل ، إن ربك حكيم عليم .

فقال إبراهيم : « أصلحك الله ، لقد أمرت بسداد ، وحضضت على رشاد ؛ ولست عائداً لما يثلم ^(٤) مروءتي عندك ، ويسقطني من عينك ، ويخرجني من مقدار الواجب الى الاعتذار .

» فهأنذا معتذر إليك من هذه البادرة اعتذار مقرر بذنبه ، معترف بجرمه . ولا يزال الغضب يستفزني ^(٥) ببوادره ، فيردني مثلك بحلمه : وتلك عادة الله عندك ، وعندنا منك . وقد جعلت حتى في هذا العقار لابن بختيشوع . فليت ذلك يكون وافياً بأرش ^(٦) الجنابة عليه ، ولم يتلف مال أفاد موعظة ؛ وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ١١

فأى عدل وراء هذا العدل ؟ وأى دين أو ملة أعظم من هذا الدين الإسلامى الحنيف ، الذى رفع الأثقال عن بنى الإنسان ، وأحسن إليهم المعاملة ، حتى ترامت عليه أهل الملل الأخرى ، يبتغون فضلاً من أهله : فوجدوا فيه العدل والإنصاف ، والمساواة والإخاء ، حتى فى التقاضى مع المسلمين بل وأولياء العهد والمرشحين للإمارة بين يدي قضاة المسلمين ١٢

(١) الأمم من الأمر : الوسط

(٢) المحند : الأصل .

(٣) الريث : الإبطاء والمقدار .

(٤) ثلم الأثاء : كسره من حرفه .

(٥) استفزه : استخفه وأزعجه

(٦) الأوش : الدية ، وما يعطى تعويضاً .

الشعر في العهد الايوبي

من شعراء الاسرة الايوبية

لفضيلة الاستاذ رياض دلال

المدرس بكلية اللغة العربية

سبق في حديثنا عن تشجيع الايوبيين للشعر والشعراء أن أشرنا إلى أنه كان من بين الاسرة الايوبية شعراء عالجوا صناعة الشعر وكان لهم منها نصيب ، وسنحاول في هذا المقال أن نترجم لبعض هؤلاء الشعراء ذاكرين لهم شيئا من شعرهم ندل به على مبلغ شاعريتهم ، ومدى ضعفها أو قوتها ، فنقول :

(١) شرف الدين ^(١) عيسى ابن الملك العادل سلطان الشام الحنفي الفقيه الأديب ، ولد في القاهرة سنة ٥٧٨ هـ ، ^(٢) وحفظ القرآن وبرع في الفقه ، وشرح الجامع الكبير في عدة مجلدات بإعانة غيره ، وله شعر كثير ، وكان عديم الالتفات إلى الواويس وأبهة الملك : يركب وحده ثم يتلاحق به بماليسه . مدحه جماعة من الشعراء المجيدين . ويشكك ابن خلكان فيما نسب إليه من شعر ، فلم يثبت منه شيئا . توفي سنة ٦٢٤ هـ ، بدمشق . ومما نسب إليه قوله وقد مرض بالحي :

زارت محضه الدنوب وودعت	تبأ لها من زائر ومودع
بانت تغافى كأنى حبها	ومبيتها ومقيلها في أضلعي
قالت وقد عزمتم على زوالها :	ماذا تريد ؟ فقلت : ألا ترجعي

وسده الأبيات ذكرنا بأبيات المتنبي في الحى لما انتابه في مصر وهي التي يقول فيها :

وزائرتي كأن بها حيام	فليس تزور إلا في الظلام
بذلت لها المطارف والحشايا	فعافتها وبانت في عظامي

ولشاعرنا يتحدث عن استعدادده لملاقاة الشتاء ، وما جمع له من عدة وعناد :

هجم الشتاء ونحن بالبيداء	فدفعت شرته بصوت غناء
--------------------------	----------------------

(١) ترجم له شذرات الذهب ، وعقد الجمان ، ووفيات الأعيان . (٢) في مرة الزمان سنة ٥٧٦ هـ

وذكر أنه كان نازلاً بنابلس وفي معسكره بهاء الدين بن القيسراني ، فأرسل
إلى ابن القيسراني شيئاً من ثمار قيسارية ، فكتب إليه ابن القيسراني :

يا أيها الملك المعظم والذي أصححت له الدنيا تزف عروسا
أوليتني نعماً إذا أظهرتها للناس أظهر حاسدوها بوسا
فليهنك اليوم الذي قد أطلعت فيه الكئوس كواكباً وشموسا
فكتب إليه المعظم :

يا من تفرد بالفضائل دائماً أبدا يؤسس مجده تأسيسا
لازلت في درج المكارم راقيا تعلو وربك بالثنا مانوسا
فكتب إليه البهاء مجيباً :

مدح بمدح يستطاب ولا أرى ما بين ذين دراهما وفلوسا
فأمر له المعظم بقماش وذهب قيمته ألف دينار . وفي شعر البهاء ما يفيد
مشاركة المعظم الأيوبي له في صناعة الشعر وقيامه له في المساجلة والمماتة .
(٢) الأشرف موسى^(١) : أبو الفتح موسى ابن الملك العادل سيف الدين
أبي بكر بن أيوب من ملوك الأيوبيين ، مدحه أعيان شعراء عصره ، وخلدوا مدائحهم
في دواوينهم ، منهم شرف الدين بن عنين ، والبهاء السنجاري ، وراجح الحلبي ،
والكمال بن النبيه . توفي سنة ٦٢٨ هـ . ومولده سنة ٥٧٧ هـ .

كتب يعزى عن الأمير علي ولد الخليفة الناصر لدين الله :

خليفة الله اضطرب واحتسب فما وهي البيت وأنت العباد
أنت سماء طلعت زهرها لا ينقص الأفول^(٢) منها عداد
ولا يضرب البحر يوماً إذا ما سال من أنحاء^(٣) واديه واد

ودخلت الشمس من بعض « شباميك » القصر ، ف وقعت على غلام له كان قائماً
في خدمته ، ولم يستطع أن ينحاز إلى الظل ، فلما رآه أنشد :

(١) ترجم له نثر الجمان . (٢) في الأصل : الأقل . (٣) في الأصل : انعم .

وغصن بان قلوب الناس في خطر من فعل مقلته إن مال أو خطرا
 راعته شمسٌ بدا من حرها لهب في صحن وجنته فأنحاز مستترا
 فقلت حسبك لا تحش اجتماعهما فالشمس لا ينبغي أن تدرك القمر
 ولهذا الشاعر نزوات شعرية في معان لا تلتقي مع منهج مجلة الأزهر الغراء
 فآثرنا الإغضاء عنها برغم ما حوت من شعر قوى وأدب رصين .

(٣) الأجد مجد الدين ^(١) الأيوبي بن قرخشا بن شاهنشاه صاحب بعلبك ؛
 كان أديبا شاعرا ، وله ديوان شعر ؛ قتل سنة ٦٢٨ هـ ومن شعره :

حيّ عني الحمى وحيّ المصلّى وزماناً بالرقتين تولى
 كان أعلى الأوقات في النفس قدرا فتلاشى زمانه واضمحلا
 بت والبرق لا أمل دموعي عند إيماضه ولا البرق ملا
 مستهما ألقى الغرام بجسم منذ أبلاه هجركم ما أملا
 ذا غليل من حرقه البين والهجر بغير اقترابكم ان يبلا
 أيها الناظمون ذا قريض دق في صنعة القريض وجلا
 يتمشى على السماك أفتخارا ثم يضحى منه عليكم مطلا
 وبغيض إلى من ليس يدرى صنعة الشعر أن يكون مدلا
 بقريض إذا كسا الشعر عزا قائله كساه هونا وذلا

وتراه يفخر بشعره وقوته ، وينعى على من ليس يحسن صناعة الشعر ، أن يدل
 ويتبجح بشعر لا تشرفه نسبته إليه ، لضعفه وعدم غنائه . وحق له أن يفخر إذ كانت
 جملة شعره التي تحت أيدينا — وفي الفوات منها كثير — من الشعر القوى : أسلوبا
 ومعنى ، وإن كان أكثرها في معاني الصبايات والمعانيات ، لأنه يمثل عصره
 وما فيه من مجون ولهو .

(٤) تاج الملوك مجد الدين أخو صلاح الدين ؛ كان أديبا شاعرا ، روى له
 صاحب مرآة الزمان كثيرا من شعره ، ومنه في نيل مصر وأيامه فيها :

شربت من الفرات ونيل مصر أحب إلى من شط الفرات
 ولى في مصر من أصبو إليه ومن في قمره أبدأ حياتي

فقلت وقد ذكرت زمان وصل تمادى بعده روح الحياة :
أرى ما أشتهيه يفر منى ومن لا أشتهيه إلى يأتى
قال صاحب شذرات الذهب : وله ديوان صغير ، توفى سنة ٥٧٩ هـ

(٥) الكامل ناصر الدين ^(١) بن محمد الأيوبي ، وله :

ترى تسمح الدنيا بما أنا طالب فلي عزمات دونهن الكواكب
وإن يكن الناعى بموتى معرضا فأى كريم مانعته النوادر
ومن كان ذكر الموت فى كل ساعة قرينا له هانت عليه المصائب
وما عجبى إلا تأسف ساعة على ذاهب من قالة وهو ذاهب
وتراه نحا منحى الجد والوعظ فى شعره وذلك غريب منه ، لأن سمة العصر
كانت الى اللهو أميل وبالمجون أشبه .

(٦) قرخشاى بن ^(٢) شاهنشاه بن أيوب أبو سعد عز الدين والده مجد الدين
السابق ، توفى سنة ٥٧٨ هـ ومن شعره فى دمشق :

دمشق سقاك الله صوب غمامة فما غاب عنها لدى رشيد
عسى مسعدا أنى أبيت بأرضها بلى أتى — لو صح لى — لتسعيد
وله فى الحكمة والموعظة :

إذا شئت أن تعطى الأمور حقوقها وتوقع حكم العدل أحسن موقعا
فلا تصنع المعروف فى غير أهله فظلمك وضع الشئ فى غير موضعه

وقرخشاى هـ — هذا هو الذى امتدحه ابن سعدان بعدة قصائد .

وحسبك أن ابن سعدان سلكه مع الفرزدق فى قرن ، وإن كان ذلك صنيع
الشعراء الغالين .

وبعد ، فتلک لمحات دوال على شاعرية الاسرة الأيوبية ، وأن كردهتاهم تكن
لتحول بينها وبين صناعة العربى الصميم الذى يتضغ الشـيخ والقيصوم .
وسنتكلم فى عدد آت — إن شاء الله — عن شاعر بنى أيوب ونأثرهم غير مدافع ،
فإلى لقاء قريب ؟

(١) ترجم له نزهة الأنام . (٢) ترجم له شذرات الذهب ومرآة الزمان والنجوم .

الحياة الانسانية

والعدل الإلهي

الفضيلة الأستاذ الشيخ عبد المنعم خفاجي

المدرس بكلية اللغة العربية

العدل الإلهي أمر بدهي تجزم به الفلاسفات الدينية عن يقين وإيمان لا يجد الشك إليهما سبيلا : وهو مع ذلك من الضروريات في عالم التفكير الفلسفي الحديث ، أو من الأبجديات في قاموس العقل البشري المنظم ، ولا يستسيغ مفكر أن يتصور مصير الحياة الانسانية وحاضرها ، وحياة البشر ونظامهم في عالم مقفر من عدالة السماء ، بل لا تستطيع أن تفهم كيف كانت تقوم الحياة البشرية ويستقيم نظام الوجود كله بدون هذا العدل السماوي الشامل . ونحن لا تؤمن بأن الله عادل لحسب ، بل بعد له ورحمته جميعا ؛ فبالعدل يسير العالم الإنساني لأهدافه العظيمة المنشودة ، وتستمر نوااميس الوجود تؤدي عملها كاملا في سبيل خدمة البشر وسعادتهم ؛ وبالرحمة - التي لا تتنافى مع قوانين العدل الإلهي العظيم - تسعد الإنسانية ، وتحيا حياة كريمة متجددة فيها الأمل والرجاء .

والذين يشيرون مشكلة الشقاء الإنساني يجب عليهم ألا يكلفوا أنفسهم عناء البحث عن العدل الإلهي : لأن هذا العدل هو الآن وقبله فوق مشار الشكوك والأوهام ، وخاصة بعد أن نضج العقل البشري هذا النضوج الباهر في عصر الكهرباء والذرة . أما هؤلاء المفكرون الذين تثير مظاهر الشقاء في الحياة الإنسانية شكوكهم في رحمة الله ، فيجب عليهم أن يفرقوا بين نوعين من الرحمة : رحمة تتنافى مع هذه النوااميس المنتظمة المسيطرة على الكون والحياة والتي فرضتها عدالة الخالق العظيم ، وهذا النوع لا يصح أن يقال له على الحقيقة رحمة بل هو ظلم جائر يسير بالحياة الى التخبط والظلام ، لا إلى السعادة والرفاهية المنشودتين ؛ والنوع الثاني من الرحمة هو مالا يتنافى مع هذه القوانين التي تحتتمها العدالة ، وهو

في قانون المدنية الحديثة أول واجب على الإنسان المذهب ، وأكرم صفات الإنسانية الكاملة في الرجل الذي يتسم بسمات المدنية والخلق الكريم ، فما بالك به إذا في جانب المسيطر الأعظم على الوجود والحياة ؟ وكيف يمكن أن يقال إنه من صفات الكمال في البشر دون الله ؟

وإذا كانت عدالة السماء قد وهبت للإنسان حريته في الحياة ، وأمدته بجميع العناصر الأدبية اللازمة لتكوين شخصيته الإنسانية ، ولمساعدته على الكفاح في الوجود ، وعلى الانتصار في معركة الوجود الطاحنة ؛ بعد أن أمدته بجميع الوسائل التي تساعد على فهم الحياة فهما كاملا ، وعلى أنجح السبل الموصلة إلى السعادة فيها . أفنقول إن ما يصيب الإنسان — بسبب نفسه أو بسبب المجتمع الذي يعيش فيه — من شقاء وآلام ، نتيجة لهذه الحرية الموهوبة ، هو ظلم وجور من الله ، لأنه حد من قوته ، ولم يعمل بمقتضى قدرته العظيمة القادرة على إسعاد الحياة والناس ؟ كلا فذلك منطق لا يستقيم ولا يمكن أن يقوله إنسان يجب أن يصل إلى الحقيقة الأبدية وحدها .

يمكننا أن نحدد الشقاء تحديدا تاما ، وأن نفهم أسبابه ، وأن نرى إلى أي حد نستطيع التوفيق بين عدل الله ورحمته ، ووجود الشقاء الكثير في هذه الحياة .

أما الشقاء فقد عرض له المفكرون والفلاسفة من قديم بالبحث والتحديد ، ونحن لن نتوسع في التعريف ، ولن نذهب إلى ما يصح أن نذهب إليه من أنه كل ما يعرض حياة الفرد أو الجماعة الإنسانية أو نظام الوجود الإلهي الذي فطر الكون عليه للخطر والآلام ، ولن نذهب إلى إنكار الشقاء الذي يحيط بالأفراد والجماعات مدعين بأنه تضحية يستوجبها العمل في سبيل حفظ وبقاء الحياة الإنسانية نفسها ؛ بل سنتواضع جداً في مدلول هذا الشقاء ، ونسير على ما سار عليه الأستاذ علي أدم — صاحب مقالة « مشكلة الشقاء » التي نشرتها الثقافة^(١) — فنرى أنه الكوارث والآلام التي تحمل بالناس .

وإذا حللنا أسباب هذا الشقاء الإنساني الذي نرى مظاهره الفادحة كل ساعة ويوم بأعيننا وبصرنا ، يمكننا أن نرجعها إلى ثلاثة أشياء :

الأول : ما كان السبب فيه الناس أنفسهم ، كالمقامر الذي عرض نفسه للفقر بلعبه القمار ، وكالعاكف على تعاطي المخدرات الذي يجلب على نفسه شقاء المرض بعكوفه على المخدرات ، وكالذي يلقي بنفسه في النهر لينتحر من هموم الحياة ، أليس هؤلاء جميعاً ومن شابههم يستحقون هذا الشقاء الذي جرؤوه على أنفسهم بأيديهم ؟ وكيف يمكننا أن نقول إن هذا الشقاء يتنافى مع عدل الله ورحمته ؟

ومن حسن الحظ أن صاحب مقالة « مشكلة الشقاء » لا يعارض في هذا ، ولا يرى بينه وبين عدالة السماء ورحمتها منافاة .

الثاني : ما يكون السبب فيه المجتمع نفسه ؛ فالفقر شقاء ، ولكن إذا كان هذا الفقر ناشئاً عن سوء الأوضاع الاقتصادية عند جماعة أو أمة ، أو سببه عدم استغلال هذه الجماعة أو الأمة لمرافقها الاقتصادية استغلالاً صحيحاً ، أفلا يكون هذا الشقاء الذي نزل بهم عدلاً من السماء ، بل رحمة من الله بالناس ، لأنه أراهم ما يترتب على مخالفة الدين أو حكم العقل والتفكير من أضرار وشقاء ؟

والحياة البشرية وحدة تامة ، ومن ضروريات العدالة أن توزن بموازين عادلة سليمة ، وإلا فكيف يستقيم نظام الحياة ؛ فإذا لاقت جماعة أو أمة نتائج إهمالها أو جهلها أفيكون ما يحيق بها من أثر ذلك من الشقاء ظلاً وجوراً من الله ؟

وكذلك الحرب ؛ أليست جنائية ما يترتب عليه من شقاء هي من عمل المجتمع نفسه الذي لم يحكم القوانين ونظام الله العادل في العلاقات بين جماعاته وأمه ، فترك شريعة العدالة الانسانية الى نظام الغابة وشريعته . وكذلك الشقاء الذي ينزل بالناس نتيجة للأمراض التي يصابون بها . أليس سره أن هؤلاء الناس أو الحكومة المسئولة عنهم قد أهملت في العمل على محاربة المرض وعلاجه والوقاية منه ؟ ومثل ذلك الآلام التي تصيب الأطفال من فقر ومرض وسواهما ؛ أليس مرجعها الى إهمال الآباء وجاهلهم وتعرضهم في حقوق الأبناء ؛ ولنفرض أن رجلاً توفي وترك طفلاً صغيراً ، ولم يترك له شيئاً من مقومات الحياة ، أليس الأب مسئولاً

عن إهماله الذى كان منه فى حق طفله حين لم ينظم حياته تنظيمًا اقتصاديًا كافياً يبعث على الطمأنينة والثقة بأنه أدى واجبه نحو ابنه ؟ ولنفرض أيضاً أن رجلاً سار فى الطريق فأخطأ سائق سيارة فقضى على حياته ، أليس هذا الشقاء مبعثه خطأ رجل من المجتمع وعدم حذره فى سبيل المحافظة على حياة الناس وفى سبيل أداء واجبه كاملاً ؟ وقوانين الوراثة تعلل لنا تعليلًا واضحًا كيف تنتقل الأخلاق والأمراض وغيرهما من الآباء إلى الأبناء على مر العصور .

وإهمال المجتمع أو خطؤه لا يستلزم أن يكون كل إنسان فى المجتمع قد صدر منه الإهمال أو الخطأ ، ولا أن يكون مسئولاً عنهما ، بل يكفى أن يحيد فرد عن السبيل فيحقق الشقاء بكثير من أفراد المجتمع أو بالمجتمع جميعاً ، لأن الحياة قائمة على التعارن والعمل المشترك لخدمة الإنسانية والجماعة البشرية والسير بها قدماً فى سبيل الخير والأمن والسلام والرفاهية ، فما يصدر عن فرد قد تشقى به أمة .

الثالث : ما لا يمكن معرفة السبب فيه ، كسفينة هبت عليها أعاصير عاتية فغرقت بركابها ؛ وكبركان ثار فدمر مدينة ، وكصاعقة نزلت من السماء فقضت على جماعة ، وغير ذلك من مظاهر الشقاء الذى لا تفهم الحكمة فيه ولا أسبابه المحيطة به .

ومن البدهى أن عقولنا أقصر فى هذه الحالات عن إدراك كنه إرادة الله وحكمته ورحمته وعدالته ، فقد يكون السبب فى بعضها حكمة بعيدة لا يعلمها إلا الله كما ترمز إليه قصة الخضر مع سيدنا موسى ، وقد يكون السبب فى بعضها الآخر حفظ الكون نفسه والعمل على بقاء الحياة ، فتضحى عدالة الله بفرد فى سبيل مجتمع ، أو بالجماعة فى سبيل الوجود نفسه ، فقد تدمر المواد الملتبسة المتصاعدة من فوهة البركان قرية واسكنها ربما لو لم يتفجر البركان لوقعت نكبة أرضية تقع ضحية لها قارة بأسرها ؛ والحياة نفسها مجموعة من التضحيات ، فمنحوت ليحيا جيل جديد ، وبعض الكواكب الكونية تتلاشى ليبقى نظام الوجود سليماً . وكرات الدم فى حرب شعواء يفتى بعضها فيها فى سبيل بقاء البعض الآخر القادر على تزويد الجسم بالحياة ، وهكذا تضحي إرادة الله بالضعيف ليبقى القوى فيعمر الكون ويكون خليفة الله فى أرضه ، وتزدهر حياة البشر ، ويصبحوا أهلاً لأن يعيشوا فى الحياة .

وفلسفة الدين تقوم على بعث الرضاء الروحي والطمأنينة النفسية في قلوب المؤمنين ، وعلى أن يفوض الناس أمورهم في مثل هذه الأحوال لله ، وعلى الإيمان الكامل بعادته ورحمته وبالحياة الآخرة التي يجازى فيها على ما عملوا من حسنات أو سيئات . وفي مثل هذا يطيب للمفكرين أن يقرؤا بعجز عقولهم عن فهم حكم الله العظيمة في الحياة ، وإلا كانوا كالطفل الذي يحكم على أعمال الفيلسوف .

لنؤمن بعقولنا وقلوبنا جميعا ، فالعقل وحده قد يبعث على الشقاء الروحي ، وقد لا يوصل الإنسان إلى الهدف المنشود ، كالرجل الذي يعتمد على رجله وحدهما في السير على سطح الماء ، والقلب وحده قد يكون مثار الطمأنينة والغبطة واليقين . ولكن أليس مما لا يليق بكرامة الإنسان الأدبية وهو خليفة الله في أرضه ، أن يلغى عقله وفكره ، وأن يفهم الحياة ونواميس العدالة الإلهية العظيمة ، فهما آليا محدودا لا يتعدى نظرات الحيوانات السائمة إلى السكون العظيم .

لقد عرض الأستاذ « أدهم » مشكلة الشقاء ، عرضا فكريا ولكن عرضه لا يخلو من طفرة وإهمال للدقة في البحث فيما أثاره من مشكلات ، وترك للواجب المقدس فيما كان يجب أن يحافظ عليه من أدب مع الله في بحثه عن عداله ورحمته . وكيف نفهم الحياة ، وشخصيتها فيها ، والرسالة العظيمة التي خلقنا لأدائها كاملة في سبيل السير بالحياة قدما إلى المثل العليا والأهداف العظيمة المرتجاة ، إذ لم نفهمها على أنها وحدة تامة أو جسم واحد يتحرك في تعاون وإنسجام ودقة نظام لغاية مشتركة ، وللتجديد المستمر في سبيل الإنسانية وحضارتها وتقدمها وسعادتها ؟ وهل يمكن أن نقول : المرأة قد شقيت حين خلقت امرأة ولم تخلق رجلا ، وأن مجارى البول في الإنسان تشقى وكان الأولى بالله أن يسعدها بأن تكون م . كانا طاهرا يجرى فيه دم الحياة كالقلب تماما ؟ كلا إن شقاءها سعادة للجماعة التي تعيش فيها ، وإن تفسيرنا المحدود لبعض مظاهر الشقاء في الحياة الإنسانية قد يكون صوابا لو أعطينا قوات أخرى تساعدنا على فهم ما خفي وراء عقولنا من مظاهر الوجود ؟

الاسباب الداعية

إلى جمع طرق كل حديث من أحاديث صحيح البخارى

١ — منزلة صحيح البخارى من كتب الدين :

قال الإمام الشوكانى : « اعلم أنه قد اتفق من يعتد به من أهل العلم أن السنة المطهرة مستقلة بتشريع الأحكام ، وأنها كالقرآن فى تحليل الحلال وتحريم الحرام ، وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « ألا وإني أوتيت القرآن ومثله معه » أى أوتيت القرآن وأوتيت مثله من السنة التى لم ينطق بها القرآن » (١) .

قال أئمة الفن « الصحيح ما اتصل سنده بنقل العدل الضابط عن مثله وسلم من شذوذ وعلة » (٢) .

قال النووى رحمه الله تعالى « والصحيح أقسام : « أعلاها ما اتفق عليه البخارى ومسلم ، ثم ما انفرد به البخارى ، ثم ما انفرد به مسلم ، .

وأول من اعتنى بجمع الصحيح أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى ، وتلاه صاحبه وتلميذه أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابورى ، فهما أصبح كتب الحديث (٣) .

والبخارى أرجح ، لأنه اشترط فى إخراج الحديث فى كتابه هذا أن يكون الراوى قد عاصر شيخه وثبت عنده سماعه منه ، ولم يشترط مسلم الثانى ، بل اكتفى بمجرد المعاصرة ، ومن هنا ينفصل لك النزاع فى ترجيح صحيح البخارى على مسلم كما هو قول الجمهور (٤) .

فهو أول كتاب ألف فى الصحيح المجرد . اتفق جمهور العلماء على أنه أصح الكتب بعد القرآن الكريم (٥) .

وقد ذكر الحافظ ابن حجر أن عدة ما فيه من الأحاديث بالمكرر ٧٣٩٧ (٦) .

(١) إرشاد الفحول ص ١٣ (٢) قواعد التحديث ص ٥٦ (٣) المصدر السابق

(٤) إحصاء علوم الحديث ص ٨ (٥) مفتاح السنة ص ٣٩ (٦) مقدمة

وبغير المكرر من المتن الموصولة ٢٦٠٢ حديثاً ، ومن المتن المعلقة المرفوعة ١٥٩ فجميع ذلك ٢٧٦١ (١) .

٢ - طريقة البخارى في تأليف الجامع الصحيح :

قال الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسى فيما رويناه عنه في جزء سماه : « جواب المتعنت » : اعلم أن البخارى رحمه الله كان يذكر الحديث في كتابه في « واضع » ، ويستدل به في كل باب بإسناد آخر ، ويستخرج منه بحسن استنباطه وغزارة فقهه ، معنى يقتضيه الباب الذى أخرجه فيه ، وقلبا يورد حديثا في موضعين بإسناد واحد ولفظ واحد ، وإنما يورده من طريق أخرى لمعان تذكراها ، واقه أعلم بمراده منها : ففنها أنه يخرج الحديث عن صحابي ثم يورده عن صحابي آخر والمقصود منه أن يخرج الحديث عن حد الغرابة . وكذلك يفعل في أهل الطبقة الثانية والثالثة وهلم جرا إلى مشايخه . فيعتقد من يرى ذلك من غير أهل الصنعة أنه تكرار ، وليس كذلك ، لاشتماله على فائدة زائدة . ومنها أنه صحح أحاديث على هذه القاعدة يشتمل كل حديث منها على معان متغايرة ، فيورده في كل باب من طريق غير الطريق الأولى ، ومنها أحاديث يرويها بعض الرواة تامة ويرويها بعضهم مختصرة ، فيوردها كما جاءت ليزيل الشبهة عن ناقلها . ومنها أن الرواة ربما اختلفت عباراتهم في حدث راو بحديث فيه كلمة تحتمل معنى ، وحدث به آخر فعبر عن تلك الكلمة بعينها بعبارة أخرى تحتمل معنى آخر ، فيورده بطرقه إذا صحت على شرطه ، ويفرد لكل لفظة بابا مفرداً . ومنها أحاديث زاد فيها بعض الرواة رجلا في الإسناد ونقصه بعضهم ، فيوردها على الوجهين حيث يصح عنده أن الراوى سمعه من شيخ حدثه به عن آخر ثم لقي الآخر فحدثه به فكان يرويه على الوجهين . فهذا جميعه فيما يتعلق بإعادة المتن الواحد في « واضع آخر أو أكثر » .

وأما تقطيعه للحديث في الأبواب تارة ، واقتصاره منه على بعض أخرى ، فذلك لأنه إن كان المتن قسماً أو مرتبطاً ببعضه ببعض وقد اشتمل على حكيم فصاعداً ، فإنه يعيده بحسب ذلك مراعيًا مع ذلك عدم إخلائه من فائدة حديثة

وهي لإيراده له عن شيخ سوى الشيخ الذي أخرجه عنه قبل ذلك كما تقدم تفصيله ،
فنستفيد بذلك تكثير الطرق لذلك الحديث . وربما ضاق عليه مخرج الحديث
حيث لا يكون له إلا طريق واحدة ، فيتصرف حينئذ فيه ، فيورده في موضع
موصولاً وفي موضع معلقاً ، ويورده تارة تاماً وتارة مقتصراً على طرفه الذي
يحتاج إليه في ذلك الباب . فان كان المتن مشتملاً على جمل متعددة لا تعلق لإحداها
بالأخرى فإنه يخرج كل جملة منها في باب مستقل ، فراراً من التويل ، وربما نشط
فساقه بتمامه . فهذا كله في التقطيع ^(١) .

وأراد أيضاً أن يفرغ جهده في الاستنباط من حديث رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، ويستنبط من كل حديث مسائل كثيرة جداً . وهذا أمر لم يسبقه إليه
غيره . غير أنه استحسن أن يفرق الأحاديث في الأبواب ، ويودع في تراجم
الأبواب سر الاستنباط ^(٢) .

٣ — آفات هذه الطريقة والصعوبات التي فيها :

وقال مسلم بن قاسم القرطبي ، وهو من أقران الدارقطني ، في تاريخه عند
ذكر مسلم : « لم يضع أحد مثله » ، وهذا يحول على حسن الوضع وجودة الترتيب
وسهولة التناول ، فإنه جعل لكل حديث موضعاً واحداً يليق به جمع فيه طرقه
التي ارتضاها واختار ذكرها وأورد فيه ألفاظه المختلفة ، بخلاف البخاري فإنه
يذكر الطرق في أبواب متفرقة ، ويورد كثيراً من الأحاديث في غير الأبواب التي
يتبادر إلى الذهن أنها تذكر فيه . وقد وقع بسبب ذلك لباس من العلماء أنهم نفوا
رواية البخاري لأحاديث هي موجودة فيه حيث لم يجدوها في مظانها السابقة
إلى الفهم .

وقال الإمام السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار : على أن المراجعة
في صحيح البخاري في مكان من الصعوبة لا يعرفه إلا من عالجها ، فإن الحديث
الواحد قد يوجد في عدة أبواب منه بألفاظ مختلفة ، فن وجد غلطاً في حديث
منهما كان عليه أن يراجع جميع رواياته فيها ليتمكن الجزم بالصواب .
ومن لم يدقق النظر في اختلاف الروايات والرواة والألفاظ فرمى بالصواب

(١) مقدمة فتح الباري ص ١٢ ، ١٣ (٢) شرح تراجم صحيح البخاري للدهلوي ص ٢ ، ٣

(٣) توجيه النظر ص ١٢٣

خطأ . وضرب لذلك مثلا ، ثم قال : فليشل هذا الاختلاف في الروايات لا يحزم المصحح بأن كل ما رآه خفي المعنى محرف فيراجعه ، ولا بأن كل ما رآه جلي المعنى هو الصحيح من الروايتين أو الروايات ، بل لابد من النقل واستقصاء الروايات عند المراجعة ، وذلك من العسر بمكان .

فنحن نرى الحفاظ وكبار المحدثين وشراح دواوين السنة ينسون بعض الروايات أحيانا ، أو يغفلون ذكرها في مواضعها . فهذا الحفاظ ابن حجر — وناهيك بسعة حفظه — قد ذكر في شرحه لحديث أبي قلابة الخ ما قال .

٤ — الحاجة إلى ضم أطراف كل حديث وجمع طرقه ورواياته المختلفة :

قال الحفاظ في الفتح : « إن بعض الرواة يختصر الحديث ، وإن المتعين على من يتكلم على الأحاديث أن يجمع طرقها ثم يجمع ألفاظ المتن إذا صحت الطرق يشرحها على أنه حديث واحد ، فإن الحديث أدنى ما يفسر بالحديث . وأوضح منه ما قال السندی رحمه الله تعالى :

« وفي هذا تنبيه على أنه لابد للمستدل بالحديث من تتبع رواياته ، فيستدل بملاحظة جميع الروايات ، فإن أمكن الترجيح أو التوفيق فذلك ، وإلا فيطرح خصوصية الروايات ويستدل بالقدر المشترك بينها ، ضرورة أن تعدد الروايات إنما يكون من تعبير الرواة ونقلهم الحديث بالمعنى وإلا فمعلوم أن تمام الروايات المختلفة ليست من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث واحد ، فالاستدلال بكل رواية على حدة عند الاختلاف في حديث واحد مشكل .

وقال مولانا شاه ولي الله الدهلوي : وقد تختلف صيغ حديث لا اختلاف الطرق ، وذلك من جهة نقل الحديث بالمعنى . فإذا جاء حديث ولم يختلف الثقات في لفظه كان ذلك لفظه صلى الله عليه وسلم ظاهرا ، وأمكن الاستدلال بالتقديم والتأخير والواو والفاء ونحو ذلك من المعاني الزائدة على أصل المراد .

وإن اختلفوا اختلافا محتملا ، وهم متقاربون في الفقه والحفظ والكثرة ، سقط الظهور ، فلا يمكن الاستدلال بذلك إلا على المعنى الذي جاءوا به جميعا .

وجهور الرواة كانوا يعمتون بمرس المعاني لا بحواشيها .

(١) مقدمة مجموعة الأحاديث النجدية ص ٦ ، ٧ (٢) نبراس الساري في أطراف النجاري ص ٣

(٣) حجة الله البالغة ج ١ ص ١١١

العصر العظيم في تاريخ العالم

د. كنفشوس - جوتاموبوذا - زردشت - فيثاغوراس ، من وجهة نظر تأليفية

تأليف : ف . ستانكا . تعريب : الأستاذ عمر طلعت زهران

د. محاضر خارج المنهج الدراسي ألقيت في جامعة هامبورج في التاسع عشر من سبتمبر سنة ١٩٤٦ . ويجب أن ينظر الى ربط أصل نظريات هؤلاء الأربعة باستخدام الحديد والاستقلال السياسي كفرض يحتاج الى فحص وتحصيل . . .

— ٥ —

بحث جوتامو في المعرفة عن طريق الخلاص من الألم . أما زردشت فكان أكثر قوة ، فقد أراد أن يتغلب على الألم وعلى كل ما هو شر في العالم ، وأن يحطم ويفنى منابه ، وإذا كان كنفشوش هو تجسد « العقلية » وجوتامو هو تجسد « الشعور الإنساني » ، فان زردشت كان تجسد « الإرادة الإنسانية » ، فلم يحتضن العائلة ، ولم يحتاج الى أن يغوص في التأمل العميق ، وكل ما كان يريد هو أن يعمل . فإن العمل هو المحور الذي يدور حوله العالم . لم يكن زردشت مفكرا ولا باحثا ولا طالب معرفة ؛ كان يمتلك قوتي التخيل والتعبير كان « معلما » . لم يكن بحاجة الى مثابة ودراسة ، فله ينطق الوحي الشعري بالرؤيات السماوية والإلهام الإلهي ، وكان يعرف أن العالم قد خلق بقوة مبدئين هما الخير والشر . أما المبدأ الأول فكان يدعى « أورمزد » ، أوبدقة أكثر : « أهورا مازدا »^(١) ، « أي السيد » الأبيض ، وأما الآخر فاسمه « أهريمان » ، أوبدقة أكثر : « أنجرا مانيو »^(٢) « أي الروح » الشرير . والمبدأ الأول يصدر عنه النور والحياة وكل ما هو جميل مشرق ، حتى نافع ، صادق مخلص ، داع للسلام . وأما الآخر فيخلق الظلام والموت ، والمرض

Ormuzd, Ahura Mazda. (١)

Ahriman, Angra Maniu. (٢)

والآلم، وكل ما هو كئيب شرير، مؤذ خداع، قبيح خاطيء. وكأنا القوتين في نضال دائم إحداهما ضد الأخرى في سبيل حكم العالم، وأن عمل الإنسان وشعوره في حياته هو أن يشترك في هذا النضال ضد الشر. ولم يكن هذا النضال حرباً دموية مخربة، لا، فإن زردشت كان ضد الحروب، كان داعية للسلام. فإن تجسد الخير «أهورا مازدا» كان يدعو إلى إلقاء الحسام وترك السلاح، واضطر أتباعه أن يقسموا: «لا نعلن حرباً، ولا نهب القرى». لقد كان النضال من جانب أخلاقي، وطريق هذا النضال يقودنا إلى «الفكر الطيب والحكم الطيب والعمل الطيب»، كما تقول الزردشتية. وأول ميادين هذا النضال كان العمل الخالق المنتج الذي يمد البشر بالثروة والخير والرخاء. وليس لدي من الأديان مثل هذه النصوص التي تختص بعمل الإنسان، كمجدة للعمل باعتباره مصدر النعمة والسرور.

وعلى الرغم من هذه الثنائية الأساسية في النظر إلى العالم، كان زردشت، بالنظر إلى طبيعته النشيطة، متفائلاً. وهو، في رغبته الدافقة للعمل، وفي نشاطه كان يملؤه الأمل والاعتقاد بأن يوم النصر الأخير لا بد آت، حيث ينمحي الشر، ويبقى الخير يحكم العالم بمفرده، وإذا ذاك يصل الإنسان إلى السكال، ويحيا العالم في عصره الذهبي حين تنشأ «المملكة الفاضلة»، «المملكة المرغوبة»، «مملكة الرغبة»، و«حيث لن توجد رياح صرصرعائية، ولا أمراض ولا موت، وحيث تملأ الأرض بالناس والحيوانات الأليفة، وحيث تنتشر في كل مكان نيران السرور، فلا يوجد بين الناس حكام ولا سائلون، ولا أعداء، ولا مخادعون يحاولون السير بهم في طريق الشر». وهنا يشرق شعور النشاط الحماسي، والبطولة الحقة، محاولاً تحقيق الأعمال السامية العالمية Universal والديوية Cosmic.

وقد رأينا فيما تقدم من عرض للنظريات أن كل واحد من الحكماء الثلاثة له شعار خاص، هو «العائلة» عند كنفشيوس، و«الخلاص من الآلم» عند جوتامو، و«العمل» عند زردشت. ومن السهل أن نجد شعاراً مماثلاً عند فيثاغوراس، هو بلا ريب «التوافق» Harmony.

تقرير عن كتاب الفرقان

- ٢ -

ونعود ففسأل : ما الذى يريد المؤلف من هذا كله ؟ إنه فى غير موضوعه الذى يدعو اليه من كتابة المصحف بالرسم الحديث ، وفيه ما فيه من محاولة تشكيك المسلمين . وقد بما أرجف بعض أهل الإلحاد بمثل ما أرجف به ، وحاولوا تشكيك المسلمين فى كتاب ربهم ، ولكنهم باءوا بالفشل ، واستحقوا غضب الله ،

حكى الإمام أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار بن محمد الأنبارى ، قال : لم يزل أهل الفضل والعقل يعرفون من شرف القرآن وعلو منزلته ما يوجب الحق والإنصاف والديانة ، وينفون عنه قول المبطلين ، وتوهم الملحدين ، وتحريف الزائعين ، حتى نبغ فى زماننا هذا زائغ زاع عن الملة ، وهجم على الأمة بما يحاول به إبطال الشريعة التى لا يزال الله يؤيدها ، ويثبت أسسها . وينمى فرعها ، ويحرسها من معائب أولى الحيف والجور ، ومكايد أهل العداوة والكفر ؛ فزعم أن المصحف الذى جمعه عثمان رضى الله عنه — باتفاق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على تصويبه فيما فعل — لا يشتمل على جميع القرآن ، وأن عثمان والصحابة رضى الله عنهم زادوا فى القرآن ما ليس فيه ، وأن المصحف الذى فى أيدينا اشتمل على تصحيف حروف مفسدة مغيرة ، وقال : لى أن أخالف مصحف عثمان كما خالفه أبو عمرو بن العلاء فقرأ « إن هذين ، و » فأصدق وأكون « الخ . ثم قال : وفى قوله تعالى « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » دلالة على كفر هذا الإنسان ؛ لأن الله عز وجل قد حفظ القرآن من التغير والتبديل والزيادة والنقصان ؛ وفى هذا الذى أتاه توطئة الطريق لأهل الإلحاد ليدخلوا فى القرآن ما يحلون به عرا الإسلام ، وينسبونه الى قوم كهؤلاء القوم الذين أحال هذا بالباطيل عليهم ، وفيه إبطال الإجماع الذى به يحرس الإسلام ، وبثباته تقام الصلوات ، وتؤدى الزكوات ، وتجرى المتعبدات ... الخ . انظر تفسير

الله طبرج ١ ص ٨٩ وما بعدها .

وبهذا يتبين أن المؤلف فيما يزعمه ويردده سافها ، ولكنه سلف غير صالح !
 (٤) وما يؤخذ على المؤلف أيضا : أنه بعد أن حكم على رسم المصحف العثماني بأنه كان عن خطأ من كاتبه وقصور ، زعم أن العلماء الذين عللوا لرسم المصحف قد أتوا بتعليلات شاذة عقيمة ، وترهات كثيرة ، وتمحلات غير مقبولة ، وأنهم - مع هذا - وقفوا أمام بعض المتناقضات في رسم المصحف حائرين مشدوهين لم يستطيعوا أن ينتحلوا لها عذرا ، أو يحيروا عنها جوابا (ص ٥٨) ، وأن كل ما قيل في الدفاع عن الرسم القديم والمجدال حول صحته لا يخرج عن كونه لغوا وعبثا يجب أن تصان أفعال العقلاء وأقوالهم عنه (ص ٦٥) .

(٥) وقد عقد المؤلف فصلا بعنوان « التناقض الموجود في رسم المصحف » ذكر فيه أن المصحف به كلمات من نوع واحد ولكنها كتبت على صور مختلفة مثل « لا اذبحنه » و « لا عذبه » كتبت الأولى بألف بعد لا ، وكتبت الثانية بدون هذه الألف ؛ ومثل « وعثو » بدون ألف ، و « أتوا » ، و « دعوا » بالألف ؛ ومثل « من نبأى المرسلين » حيث كتبت بزيادة ياء بعد همزة « نبأ » في حين أنها كتبت في موضع آخر بدون هذه الياء ، وهو قوله تعالى « من نبأ موسى » . ومن ذلك أيضا « قال » تكتب أحيانا بألف ، وأحيانا دون ألف ؛ ومثل ذلك « إحسانا » و « لإصلاح » الخ .

والمعروف أن علماء الرسم تتبعوا أمثال هذه المواضع وعللوا لها بما يعرف منه أن هذا مرجعه الى ما في الكلمة من قراءات يحتملها الرسم ، أو ما فيها من قراءة واحدة تستدعي أن تكتب بصورتها التي لا تحتمل ما سواها ؛ وقد نقل المؤلف نفسه بعض ذلك في مثل « قال » حيث كتب في بعض المواضع بالألف وهي المواضع التي قرئت فيها قال فقط ، مثل « وإذ قال إبراهيم » . « وإذ قال موسى لفته » أما المواضع التي يقرأ فيها قال أو قل فقد كتبت فيها بدون ألف ثم وضعت المدة تنبها على قراءة الألف كما في قوله تعالى « قال أولو جثثكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم » و « قال رب احكم بالحق » . ومع نقله لهذا فإنه يتعقبه بما يزعم أنه يبطله ، والله يعلم إنه لمن المبطلين .

وقد سار المؤلف على طريقته ، فاختر من الأقوال ما يؤيد رأيه في ذلك ، ولم

يعبأ بما رد به العلماء على تلك الأقوال ؛ شأن المتعصب لفكرة لا يريد أن يفتح عينيه إلا على ما يؤيدها ويروجها ، وليس هذا شأن المنصفين من الباحثين .

ويحسن بنا في هذا المقام أن نورد فتوى ذات شأن من علماء أجلاء ، هم أعضاء لجنة الفتوى بالأزهر في موضوع رسم المصحف ، وبها يتبين القول الفصل في هذا الباب :

جاء الى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر الشريف اقتراح خاص بطبع المصحف الكريم على كيفية خاصة ، أساسها أن يكون بالرسم الكتابي العادي المتبع الآن بالأزهر الشريف وفروعه وجميع المعاهد العلمية بمصر والبلاد العربية الإسلامية وغير إسلامية .

وقد أجابت اللجنة في هذا الموضوع بما نصه :

« وأما طبع المصحف الكريم على قواعد الرسم الكتابي العادي المتبع الآن ، فاللجنة ترى لزوم الوقوف عند المسأثور من كتابة المصحف وهجائه ؛ وذلك لأن القرآن الكريم كتب به وقت نزوله على النبي صلى الله عليه وسلم ، ومضى عهده صلى الله عليه وسلم والقرآن على هذه الكتابة لم يحدث فيها تغيير ولا تبديل ، وقد كتبت به مصاحف عثمان ، ووزعت على الأمصار لتكون إماما للمسلمين ، وأقر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عمل عثمان رضي الله عنه ، ولم يخالفه أحد فيما فعل ، واستمر المصحف مكتوبا بهذا الرسم في عهد بقية الصحابة والتابعين وتابعى التابعين والأئمة المجتهدين في عصورهم المختلفة ، ولم ينقل عن أحد من هؤلاء جميعا أنه رأى تغيير هجاء المصحف عما رسم به أولا الى تلك القواعد التي حدثت في عهد ازدهار التأليف والتدوين في البصرة والكوفة ، بل ظل مصطلح القرآن قائما مستقلا بنفسه ، بعيدا عن التأثير بتلك القواعد .

« ولا ريب أنه وجد في تلك العصور المختلفة أناس يقرءون القرآن ولا يحفظونه وهم في الوقت نفسه لا يعرفون من الرسم إلا ما وضعت قواعده في عصر التأليف والتدوين ، وشاع استعمالها بين الناس في كتابة غير القرآن ، ولم يكن وجود هؤلاء مما يبعث الأئمة على تغيير رسم المصحف بما تقضى به تلك القواعد .

« قال العلامة نظام الدين النيسابورى فى كتابه « غرائب القرآن و رغائب الفرقان » ما نصه : « وقال جماعة من الأئمة : إن الواجب على القراء والعلماء وأهل الكتاب أن يتبعوا هذا الرسم فى خط المصحف ، فإنه رسم زيد بن ثابت ، وكان أمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وكاتب وحيه » .

« وجاء فى الإتقان للإمام السيوطى ما نصه :

« وقال أشهب : سئل مالك : هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء ؟ فقال : لا ، إلا على السكتة الأولى . رواه الدانى فى المتنع ، ثم قال : ولا يخالف له من علماء الأمة . وقال فى موضع آخر : سئل مالك عن الحروف فى القرآن مثل الواو والألف : أترى أن يغير من المصحف إذا وجد فيه كذلك ؟ قال : لا ، قال أبو عمرو : يعنى الواو والألف المزيدين فى الرسم المعدومتين فى اللفظ ، نحو « أولوا » .

وقال الإمام أحمد : يحرم مخالفة خط مصحف عثمان فى واو أو ياء أو ألف أو غير ذلك » .

وقال البيهقى فى شعب الإيمان : من يكتب مصحفا ينبغى أن يحافظ على الهجاء الذى كتبوا به تلك المصاحف ، ولا يخالفهم ، ولا يغير عما كتبوه شيئا : فإنهم كانوا أكثر علما ، وأصدق قلبا ولسانا ، وأعظم أمانة منا ، فلا ينبغى أن نظن بأنفسنا استدراكا عليهم ، اهـ .

وقد جاء فى فقه الحنابلة ما يؤيد نقل السيوطى فى الإتقان عن الإمام أحمد بن حنبل .

« وجاء فى حواشى المنهج فى فقه الشافعية : إن كلمة « الربا » تكتب بالواو والألف ، كما جاء فى الرسم العثمانى ، ولا تكتب فى القرآن بالياء أو الألف ، لأن رسمه سنة متبعة .

« وجاء فى المحيط البرهانى فى فقه الحنفية : إنه ينبغى ألا يكتب المصحف بغير الرسم العثمانى .

« على أن قواعد الإملاء التى حدثت فى عهد التأليف والتدوين لم يتفق عليها واضعوها ، بل اختلفوا فى رسم كثير من الكلمات ، كما هو مذكور فى مواضعه ؛

وهي بعد ذلك عرضة للتغيير والتبديل ، وقد صارت اليوم موضع شكوى وتفكير نظراً لما فيها من كتابة أحرف لا وجود لها في النطق ، وترك أحرف منطوق بها ؛ فلا ينبغي والحالة هذه أن يخضع القرآن في رسمه لهذه القواعد المختلف فيها ، والتي هي عرضة للتغيير والتبديل .

« وأما ما يراه أبو بكر الباقلاني من أن الرسم العثماني لا يلزم أن يتبع في كتابة المصحف ، فهو رأى ضعيف ، لأن الأئمة في جميع العصور المختلفة درجوا على التزامه في كتابة المصاحف ، ولأن سد ذرائع الفساد مهما كانت بعيدة ، أصل من أصول الشريعة الإسلامية التي تبنى الأحكام عليها ؛ وما كان موقف الأئمة من الرسم العثماني إلا بدافع هذا الأصل العظيم ، مبالغة في حفظ القرآن وصونه .

« أما ما ذكره صاحب الاقتراح من أن كثيراً من المتعلمين لا يحفظون القرآن ولا يحسنون قراءته في المصحف ، لعدم معرفتهم الرسم العثماني ، فاللجنة ترى - تسهيلاً للقراءة على هؤلاء - أن ينزه في ذيل كل صفحة على ما يكون فيها من الكلمات المخالفة للرسم المعروف .

« على أن الأمر أهون مما يتصوره المتقدمون للتغيير ؛ لأن رسم المصحف العثماني لا يخالف قواعد الإملاء المعروفة إلا في كلمات قليلة معدودة ، ومع ذلك فليست هذه المخالفة مما تحدث شيئاً من اللبس على القارئ المتأمل ، لأنها إما بحذف حرف ، كحذف الألف في « بسم الله الرحمن الرحيم » ، أو زيادة حرف ، كزيادة الواو والألف في « أولوا ، أو إبدال حرف من حرف كرم « الصلوة » ، بالواو بدلاً من الألف ، أو وصل ما حقه الفصل ، مثل وصل « إن » ، بما الموصولة كما في قوله تعالى : « إنما توعدون لآت » ، أو فصل ما حقه الوصل كفصل « في » ، الجارة من « ما » ، الموصولة ، مثل « في ما فعلن في أنفسهن » . وواضح أن مثل هذا لا يشبه على أحد أن ينطق به صحيحاً .

« وإن من يطلع على التعريف بالمصحف الذي أشير إليه فيما سبق ، يستطيع أن يتعرف تلك الكلمات بسهولة ، والله أعلم ؟

رئيس لجنة الفتوى

٥ من ذي الحجة سنة ١٣٥٥

محمد عبد اللطيف الفحام

١٦ من فبراير سنة ١٩٣٧

فهرس

الجزء الثاني - المجلد رقم ١٠٠

الرقم	الموضوع
٩٧	مجموعات دينية جديدة بالصورة ...
٩٨	كلية صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر ...
١٠١	المسجون في المعتقل القائم ... بقلم حضرة صاحب المرحمة ...
١٠٥	الاجتماع ... فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الرحمن الفتوى ...
١١١	تحويل القبلة إلى الكعبة ...
١١٦	المسؤولية الأدبية ...
١٢١	القبائل التي لها حق ...
١٢٣	كتاب الجهاد ...
١٣٠	عن روى حديث الخطبة ...
١٣٤	مركب الشرعي لجرنة ... حضرة الأستاذ الدكتور محمد ...
١٣٨	من أين لك هذا ... فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الرحمن الفتوى ...
١٤٣	المسئع الاجتماعي ...
١٤٥	الصلوة على النبي ... لجنة الفتوى ...
١٤٩	الاستواء على العرش ... فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الرحمن الفتوى ...
١٥٥	من مزايا القرآن الكريم ...
١٥٩	وإحدى الإعجاز في أخلاق الرسول ...
١٦٣	الاشارة الفخرية ...
١٦٧	من أسرار القرآن الكريم ...
١٦٩	بإشارة التفسير ...
١٧٣	الهداية في الإسلام ...
١٧٧	الشعر في العهد الأيوبي ...
١٨٢	الحيمة الإنسانية ...
١٨٦	جمع طرق البخاري ...
١٨٨	النصر العظيم في تاريخ العالم ... تعريب الأستاذ ...
١٩٠	تقرير عن كتاب الفرقان ...